تحالـف الحضـارات

قاعدة بحوث لتقرير الفريق الرفيع المستوى

دراسة تحليلية بشأن وسائط الإعلام

مساهمات أولية من روس هاورد وشامل إدريس
ومساهمات وأقوال إضافية قدمها عمر أمانات.

أمانة تحالف الحضارات
الأمم المتحدة، نيويورك

أعدت أمانة تحالف الحضارات هذه الورقة لكي ينظر فيها الفريق الرفيع المستوى. ولا تمثل الآراء المُعرب عنها في هذه الورقة بالضرورة آراء أعضاء الفريق الرفيع المستوى.

مقدمة

"آن الأوان لنقرّ أن المدرسين الحقيقيين لأبنائنا لم يعودوا معلمي المدارس وأساتذة الجامعات، بل هم صانعو الأفلام، ومديرو شركات الإعلان ومتعهدو ثقافة البوب. لقد فاقت ديزني جامعة ديوك، وتفوق سبيلبرغ على جامعة ستانفورد، وغلبت أم تي في (MTV) معهد ماساتشوسيتس للتكنولوجيا"[١].

١- جعلت التكنولوجيا من وسائط الإعلام أهم وسيلة للتأثير الفوري في الآراء والمفاهيم في العالم الصناعي، كما زادت بقدر كبير من أثر وسائط الإعلام في البلدان النامية. ذلك أن لوسائط الإعلام قدرة شديدة على تشجيع الوعي العالمي وبالتالي تعزيز التفاهم بين الثقافات، والتسامح وقبول الاختلافات الإثنية والثقافية والدينية والجنسانية في المجتمعات المحلية على صعيد العالم. ولكن مع الأسف، إن قدرة وسائط الإعلام على أن تكون قوة في خدمة الخير قد تنقلب بسهولة إلى شر. فمن خلال نشر رسائل تروج للقوالب النمطية السلبية وتعززها وتكرس المفاهيم الخاطئة، تثبط وسائط الإعلام عزيمة الحوار وتقاوم التفاهم المتبادل.

٢- إذا كانت شبكتا سي إن إن (CNN) وبي بي سي وورلد (BBC World) قد شجعتا ظاهرة الدورة الإخبارية على مدى ٢٤ ساعة وساعدتا في القضاء على المسافة بوصفها عاملاً يؤخر إيصال الأخبار في الغرب، فإن قناة الجزيرة وقناة العربية التلفزيونية الفضائية قد أنشأتا جمهوراً عربياً عاماً[٢] ومدرسة سياسية جديدة. وزادت شبكة الإنترنت هذه التطورات حجماً وسرعة، مما أتاح لفئات متزايدة من عامة الناس الوصول إلى وسائط الإعلام الجديدة والمشاركة فيها، حتى في العديد من البلدان النامية.

٣- لذلك فإن وسائط الإعلام ميدان حاسم لتحدي المواقف السائدة فيما يتعلق بالكثير من الناس الذين يشكلون "الآخر" في جميع أنحاء المعمورة. فالأفراد لا يكتفون بمجرد اعتناق أفكار بشأن أناس في أراض نائية، وإنما تتكون لديهم ردود انفعالية قوية إزاء الانقسامات التي ترسخها وسائط الإعلام. ومن الأمثلة الحاسمة على ذلك تأثير فكرة صدام الحضارات، التي انتشرت من مجال الصحافة الإخبارية إلى جميع الأشكال الأخرى لوسائط الإعلام.

٤- لم يكن تكرار الحديث عما يدعى صداماً في أي مكان أقوى مما كان عليه في سوق الإعلام في الغرب والعالم الإسلامي. فالمنتجات الثقافية الغربية تقدم صوراً سلبية عن العرب والمسلمين، كما تثير الصراعات الدائرة فيما بين هذه المجتمعات مشاعر قوية لدى مستهلكي الإعلام الغربي؛ وعلى غرار ذلك، جعلت وسائط الإعلام في العالمي الإسلامي من المفاهيم المغلوطة عن الغرب ظاهرة يومية في برامج الأخبار والبرامج الترفيهية المشهورة.

٥- لتحديد التدابير الملائمة لنزع فتيل التطرف وتشجيع العمل البناء، تركز هذه الورقة على مجتمعين حاسمين في العالم. فبعد البدء بتحليل تأثير وسائط الإعلام في العلاقات السائدة

---

١ باربر، بنيامين، أستاذ العلوم السياسية في جامعة ماريلاند ومؤلف كتاب Jihad vs. McWorld. Times Books, Random House, 1995، على نحو ما استشهد به عمر أمانات في ١٣ أيار/مايو، ٢٠٠٦ في اجتماع عمل تحالف الحضارات في بعثة قطر لدى الأمم المتحدة، نيويورك، نيويورك.

٢ ديلا راتا، دوناتيللا: شهادة أمام لجنة العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوروبي، في ٢١ نيسان/أبريل ٢٠٠٦.

بين الغرب والمجتمعات الإسلامية في غالبيتها، تخرج الورقة باستنتاجات على أساس هذا التحليل من أجل النظر فيها بشكل أعمق.

ولأغراض هذه الورقة، تنقسم وسائط الإعلام إلى فئتين عريضتين هما:

١) وسائط الإعلام الإخباري أو الصحفي

٢) وسائط الإعلام الترفيهي (الدراما والكوميديا التلفزيونية، وتلفزيون الواقع، والأفلام، والأفلام الوثائقية، وما إلى ذلك)

٦- أمام الانفعال الشديد الذي تفجره الأساطير السائدة، يجب على تحالف الحضارات أن يتناول كلا الميدانين الإعلاميين؛ فتأييد رسائل بديلة في الثقافة الشعبية قد يكون في تغيير المشاعر أكثر فعالية من وسائط الإعلام الإخباري التي تتحدث إلى جمهور على مستوى ثقافي فقط. ولكل فئة وسائل متميزة للإنتاج يخضع كل منها إلى مجموعات مختلفة من المبادئ الأخلاقية والقوانين المهنية حسب مكان إنتاجها ونشرها.

٧- وفي الوقت نفسه، ومع إدراك القوة الكبيرة لوسائط الإعلام، من المهم الاعتراف بأن الناس في جميع أنحاء العالم يستطيعون أن يؤثروا في وسائط الإعلام. فعندما تقوم وسائط الإعلام بتحريف المعلومات أو حجبها بشكل فاضح، قد يستطيع المجتمع المدني أن يتخذ إجراء من قبيل إمطار وسائط الإعلام برسائل بريدية أو إلكترونية أو مقاطعة شركات وسائط الإعلام المسؤولة عن نشر الرسوم الكاريكاتورية أو الأوصاف المغلوطة.

١- تأثير وسائط الإعلام في المسلمين: الإهانة بعد الجرح والتضامن الإسلامي

١-١ *وسائط الإعلام الإخباري تصبح مصدر معلومات موثوقاً بشكل متزايد*

٨- من قبل كان تأثير وسائط الإعلام الإخباري في البلدان الإسلامية في غالبيتها تأثيراً محدوداً جداً – لا سيما في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأجزاء من أفريقيا جنوب الصحراء، حيث تقدم المؤسسات الإعلامية المراقبة من الحكومة أخبارا خاضعة للرقابة تعلّم الناس كيف يتوخون أقصى درجات الحذر منها. ذلك أن وسائط الإعلام الإخباري في العديد من البلدان الإسلامية في غالبيتها تحظى بثقة أقل وتجد منافسة من المسجد والسوق بصفتهما مصدراً للمعلومات الموثوقة والتعبير عن الآراء[٣].

٩- غير أن سيطرة المصادر الدينية أو المجتمعية المحلية على وسائط الإعلام الإخباري بدأت تتغير مع إنشاء محطات تلفزيونية فضائية إقليمية في الشرق الأوسط وتخفيف حدة القوانين المنظمة للصحافة في العديد من البلدان الإسلامية في غالبيتها. وقد أدى ذلك إلى تضاعف عدد مصادر الأخبار والمعلومات المتاحة للمسلمين وشكل بدائل جذابة عما كان لديهم من وسائط إعلام إخبارية تنتَج وتوزَّع من منظور غربي ووسائط إعلام تراقَب من الحكومة وتقدَّم من منظور حكومي.

٣ مقابلة مع الدكتور مامون فندي، زميل أقدم، معهد الولايات المتحدة للسلام. ٢١ نيسان/أبريل ٢٠٠٦.

١-٢ *اشتداد وعي المسلمين لكونهم ضحايا وازدياد التضامن معهم*

١٠- تبين هذه الورقة أن ازدياد وصول المسلمين إلى المعلومات التي أنتجتها مصادر إسلامية ونشرتها في السنوات الأخيرة (عبر إنشاء قنوات تلفزيونية فضائية إقليمية مشهورة في العالم العربي، وتخفيف حدة قوانين الصحافة في بعض البلدان المسلمة، وتغلغل شبكة الإنترنت في عمق المجتمعات الإسلامية حتى في البلدان النامية) أمر كان له تأثير كبير. فقد زاد ذلك من الوعي الشعبي للأحداث الدائرة في مناطق مثل فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان عبر تعليقات إخبارية كثيراً ما تسلط الضوء على جانب الضحية في المسلمين وتعزز تعاطف الجمهور وتضامنه مع إخوانه المسلمين الذين يعيشون تحت الاحتلال أو غيره من أشكال القمع. ويميل الغضب الشعبي الذي تذكيه هذه الوسائط إلى استهداف السلطات في الغرب التي يُنظر إليها بأنها منفذة للسياسات أو مؤيدتها في هذه المناطق واستهداف حكومات البلدان الإسلامية التي يُنظر إليها باعتبارها مؤيدة لهذه السياسات أو تُرى أنها أضعف من أن تعارضها.

١١- في معرض استكشاف أثر وسائط الإعلام في التطرف في العالم الإسلامي المعاصر، جسدت سلسلة من المقابلات التي أجرتها نيكول أرغو مع الانتحاريين الذين "فشلوا" في تنفيذ عمليتهم مدى قوة الصور الإخبارية التي تقدم المسلمين بمظهر الضحية. وعلى نحو ما أشار إليه أحد المستجوبين، "الفرق بين الانتفاضة الأولى (بدون هجمات انتحارية) والثانية هو التلفزيون. في السابق، كنت أعلم عندما نهاجَم هنا، أو في مخيم قريب، لكن واقع الهجمات في أي مكان آخر لم يكن واضحاً جداً. أما الآن، فلا مفر لي من إسرائيل! فالتلفزيون يأتي بها إلى غرفة جلوسي، ولا يمكنك أن تغلق التلفزيون. فكيف يمكنك العيش مع نفسك؟ وفي الآن ذاته، لا يمكنك أن تتجاهل المشكلة. ماذا تفعل لحماية شعبك؟ نحن نعيش في صراع داخلي. فسواء اخترت القتال أم لم تختره، كل يوم هو هذا الصراع الداخلي."[٤]

١-٣ *وسائط الإعلام الترفيهي التي ينتجها الغرب والاستياء الشعبي*

١٢- إلى جانب صورة *الجرح* الذي لحق بالمسلمين كما تُظهر ذلك الصحافة اليافعة في البلدان الإسلامية في غالبيتها، تُضاف *الإهانة* التي يوجهها معظم وسائط الإعلام الترفيهي التي تُنتَج في الغرب، لكنها تُبث وتُنشر في العالم. ذلك أن ثمانين في المائة من صالات السينما في البلدان الإسلامية تعرض أفلام هوليوود حسب دراسة حديثة أجراها مجلس العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ومع ذلك، كشفت دراسة استقصائية تناولت ٩٠٠ فيلم مطول أمريكي مبرمج يعرض شخصيات عربية أن معظم هذه الأفلام عنصرية برمتها أو كاريكاتورية بالأساس[٥]. فالصور الإيجابية التطبيعية للعرب أو المسلمين العاديين تكاد تكون غير موجودة في وسائط الإعلام الجماعي الغربي، أي وسائط الإعلام المعولمة.

١٣- وعلاوة على ذلك، لا تعكس البرامج والأفلام التلفزيونية الغربية الأكثر شهرة في العالم الإسلامي شيئاً من هذه المناطق، وتشجع على مضاهاة العادات والشخصيات الغربية

٤ أرغو، نيكول: مقابلة مع هشام (٣٨)، الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، غزة؛ ورقة مؤتمر لعام ٢٠٠١: "فهم القنابل البشرية ونزع فتيلها: الحالة الفلسطينية" رابطة الدراسات الدولية، مونتريال، ٢٠٠٤.

٥ Sheehan, Jack. Reel Bad Arabs: How Hollywood Vilifies a People; Olive Branch Press, 2001.

المفهومة بصورة سطحية. وعلى نحو ما يتساءل داوود كتاب، مدير معهد الإعلام الحديث بجامعة القدس في رام الله، "أين مؤسسات الإعلام البديل، والأفلام والأبطال الذين يجسدون غنى الثقافة والتقاليد في هذه المنطقة؟"[٦].

١٤- وفيما قد تبدو هذه الظاهرة مجرد ظاهرة ثقافية لا غير، ثمة آثار نفسية هامة تطال السكان الذين يشاهدون باستمرار صوراً محتقرة لهم في وسائط الإعلام. وعلى نحو ما لاحظ عالم الاجتماع الشهير بيتر بيرغر، المنَظّر الرائد في البنائية الاجتماعية، يستقي الأفراد، لا سيما المنتمون إلى جماعات الأقلية، معظم احترامهم لذاتهم من الصور التي تقدمها وسائط الإعلام عنهم أو عمن يشبههم -ربما أكثر مما يستقونه من تواصلهم الشخصي مع الآخرين[٧].

١٥- إن تأثير *الإهانة* (التي توجهها وسائط الإعلام الترفيهي الشعبي التي لا تحترم الإسلام والمسلمين) إضافة إلى *الجرح* (الذي تسببه الأخبار التي تشبّه المسلمين بالضحايا وتُروى من وجهة نظر إسلامية) من شأنه أن يذكي الإحساس بالذل، والاستياء بل الغيظ في جزء كبير من العالم الإسلامي إزاء المصادر الغربية لكل من السياسة المتبعة تجاه الإسلام والمسلمين وما يُرى على أنه حملة دعائية موجهة ضدهم. وبرزت نتيجة هذا الغيظ مع موجة الغضب التي ثارت في أواخر عام ٢٠٠٥ ومطلع عام ٢٠٠٦ بسبب رسوم كاريكاتورية نُشرت في صحيفة مغمورة نسبياً في الدانمرك[٨]. وقبل اندلاع تلك الأزمة بأشهر، سألت وكالة غالوب لاستطلاع الآراء في دراسة استقصائية للمواقف الشعبية السائدة في عشرة بلدان إسلامية في الغالب عما يمكن أن يقوم به الغرب لتحسين العلاقات مع العالم الإسلامي. فجاء أكبر رد بنسبة ٤٧ في المائة من مجموع الردود، يشير على الغرب "بالكف عن التطاول على الإسلام" و"بالتوقف عن تقديم المسلمين على أنهم أقل شأناً في وسائط إعلامه."[٩]

١٦- ليس من الصعب الربط بين هذا الإحساس الشائع بالذل والتشجيع على التطرف في المواقف. فكما لاحظ البروفيسور شبلي التلحمي، أستاذ كرسي أنور السادات الأكاديمي للسلام والتنمية في جامعة ماريلاند وزميل أقدم في مؤسسة بروكينز، حيث يقول في كتابه "الرهانات": "لكي ينجح منظمو الإرهاب، بصرف النظر عن أهدافهم، يتعين عليهم تجنيد أعضاء راغبين، وجمع الأموال، ومخاطبة الرأي العام سعياً إلى تحقيق أهدافهم السياسية. *فكثيراً ما يشكّل اليأس والذل بشكل عام أرضية خصبة يستغلها منظمو الإرهاب*"[١٠](التأكيد مضاف)

١٧- وإجمالاً، ثمة رسالة تصور المسلمين على أنهم ضعفاء ويتم معاملتهم على هذا الأساس، وتنتقل هذه الرسالة عبر مزيج من وسائط الإعلام الإخباري ووسائط الإعلام الترفيهي الشعبي، مزيج يزداد حضوراً أكثر من أي وقت مضى.

---

٦ انظر داوود كتاب: الغرب والعالم العربي: حالة الإعلام. ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤. موجود على شبكة الإنترنت على العنوان التالي: www.commongroundnews.org/article.php?mode=3&id=431&sid=0، اطلع عليه في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٧ انظر Berger, Peter, The Social Construction of Reality: A Treatise in the Sociology of Knowledge by Peter L. Berger, Thomas Luckmann, First Anchor Books, 1966, and related articles by same.

٨ انظر المرفق الأول بشأن الجدل الذي أثارته الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية.

٩ "بليون صوت مسلم" استطلاع أجرته مؤسسة غالوب تناول ما مجموعه ١٠٠٠٠ مستجوَب في مصر، وتركيا، ولبنان، والأردن، والمملكة العربية السعودية، وإيران، وباكستان، وبنغلادش، والمغرب، وإندونيسيا.

١٠ Telhami, Shibley, The Stakes: America and the Middle East. Westview Press, 2002, pg. 14.

١-٤ *وسائط الإعلام الترفيهي المنتجة في العالم الإسلامي والسوق العالمية*

١٨- تعد وسائط الإعلام الترفيهي في بعض البلدان الإسلامية في غالبيتها نشيطة ودولية وإن كانت منافسة في كل المجالات للفيلم والتلفزيون وغيره من المنتجات الثقافية الغربية الحاضرة في كل مكان. فصناعة الأفلام والتلفزيون النيجيرية تشكل معظم سوق البرامج المرئية في أفريقيا جنوب الصحراء، وإن كان في نوعيتها قول. وتعد سوق التلفزيون المصرية قوية بتوزيعها وبثها على الصعيد الإقليمي. أما صناعة الأفلام الإيرانية فتعدّ من أكثرها احتراماً في العالم. ورغم ذلك، تواجه جميع مراكز الإنتاج هذه، ومعظم مراكز الإنتاج والتوزيع في المجال الثقافي في العالم الإسلامي، عقبات هائلة في الوصول إلى السوق العالمية ولا سيما في إيجاد مسارح تقدمهم في الغرب. وقد استُكشفت هذه الأسباب في ورقة عمل بعنوان "التبادلات الثقافية بين الغرب والبلدان الإسلامية في غالبيتها" أعدتها أمانة تحالف الحضارات مع شركة AEA الاستشارية، وأدرجت في التذييل الثاني. غير أن ثمة سببين جديران بالذكر هنا لكونهما يساعدان في توضيح سبب وصول وسائط الإعلام إلى الجمهور الغربي من عدمه وكيف يصل هذا الإعلام أو لا يصل.

١٩- أولاً، نُصبت عقبات كبيرة في وجه التبادل والتعاون بين الثقافات في الغرب (وأبرزها قانون المواطنة في الولايات المتحدة) عقب الأنشطة الإرهابية التي نفذت في الولايات المتحدة وأوروبا. ذلك أن هذه العقبات جعلت التبادل الثقافي من باب المجازفة بالنسبة للمانحين والمنظمات المهتمة بتيسير التبادلات. فكان أن أفلس بعضها أو انتقل إلى تيسير التبادل الثقافي مع مناطق أخرى من العالم. وعلى سبيل المثال، تكشف دراسة استقصائية حديثة لجميع التبادلات الثقافية المموَّلة في الغرب أن المنطقة التي يتم معها أكبر تبادل هي أوروبا (بنسبة ٣٠ في المائة من جميع التبادلات المموَّلة) بينما تأتي منطقة الشرق الأوسط في أدنى مستوى (بنسبة ٦ في المائة من جميع التبادلات الممولة)[١١]. وعلاوة على ذلك، فإن المناخ السياسي الذي اعتُمد فيه هذا القانون قد هيأ بيئة صار فيها من الصعب على قناة الجزيرة مثلاً أن تحصل على ترخيص وقناة بث لازميْن للبث في الولايات المتحدة وكندا.

٢٠- ثانياً، تحدد قوى السوق ما يُبث ويُتبادل في كلا الاتجاهين (من الغرب إلى البلدان الإسلامية في غالبيتها وعكس ذلك). فعندما تحدَّد فرص نجاح التبادلات الثقافية بمدى قدرة بث أو عرض أو منتج على جلب ما يكفي من الفائدة لتغطية التكاليف أو تحقيق أرباح، ويكون الضغط من أجل القيام بذلك فوراً وإلا فلا، تكون مجازفة المسارح والمتاحف ومؤسسات البث أكبر من الاستثمار في إعلام أو ثقافة غير الذي يُنظر إليه بمنظور "المضمون من الأمور". هذا ما يساعد في تفسير السبب الذي يجعل أخس المنتجات الداعية إلى الإثارة وحدها تنتقل من الغرب إلى الخارج ومن الصعب للغاية على أشكال الثقافة الأخرى، باستثناء الفن الراقي، أن تخرق الآفاق في الغرب.

---

١١ *انظر* التذييل الثاني، "التبادلات الثقافية بين الغرب والبلدان الإسلامية في غالبيتها"، ورقة أعدتها أمانة تحالف الحضارات بمساهمات أولية من مؤسسة AEA الاستشارية.

١-٥ *حرية الصحافة وحرية قوى السوق*

٢١- تجدر الملاحظة أيضاً أن النموذج الإخباري في معظم العالم الإسلامي تتجاذبه قوى سياسية واجتماعية. ففي بعض الأماكن، تتقيد وسائط الإعلام بمبادئ توجيهية وضعتها الدولة مما يؤدي إلى ضيقٍ في نطاق التصوير وقلةِ تنوع في طائفة المنظورات والمعلومات المقدمة. وهناك يكون كل من الرقابة الرسمية والرقابة الذاتية الصريحة في وسائط الإعلام أكثر مما هو موجود في الغرب. ويُنزع إلى تغليف القضايا السائدة داخل الأقاليم وفيما بينها بغلاف الهوية الإسلامية أو العربية ورفض السياسات الأجنبية الغربية-لا سيما الأمريكية. وفي أماكن أخرى، تخف حدة المراقبة الحكومية وثمة تنوع جديد في مؤسسات وسائط الإعلام.

٢٢- غير أنه حتى في بعض البلدان التي خفت فيها مراقبة الحكومة، تلوح حالياً مرحلة جديدة في تطور وسائط الإعلام الجديد: ففي حين أن هذه الوسائط غير خاضعة لسيطرة الدولة بالكامل، إلا أنها ليست حرة تماماً. ولأن أفراداً وشركات إعلامية يستلمون محطات تلفزيونية وصحفاً من وزارات الإعلام الحكومية المسيطرة عليها، أضحى الإعلام الآن في كثير من الأحيان خاضعاً لتوجيه المال والملكية والسلطة السياسية. ويتجسد ذلك في الهوة الكبيرة الفاصلة بين تكاليف الإعلام المستقل أو شبه الحر والأموال التي تدرّها الإعلانات التجارية. فعلى سبيل المثال، تبلغ التكاليف السنوية لتشغيل وسائط الإعلام العربي كله من المغرب إلى عُمان ١٧ بليون دولار، بينما لم يتجاوز صافي نفقات دول الخليج على الإعلان ٣ بلايين دولار في ٢٠٠٤[١٢]. لذا في مثل هذه البيئة، تندر فرص نجاح مؤسسات إعلامية جديدة ما لم يدعمها بشكل مكثف أثرياء أو جماعات أو حكومات.

٢٣- وفي بعض البلدان الإسلامية التي تسود فيها تقاليد أرسخ للإعلام المستقل، مثل بلدان جنوب شرق آسيا، أو حيث خفت بقدر كبير سيطرة الحكومة على وسائط الإعلام، مثل تركيا، تطورت ضغوط تجارية مشابهة للضغوط التي واجهتها وسائط الإعلام الغربي. فبينما أدت عملية تحرير قوانين الصحافة في تركيا في التسعينات إلى انتشار مؤسسات الإعلام المطبوع، تعد نوعية الأخبار والمعلومات التي تقدمها هذه المؤسسات أسوأ حسبما يقال مما كان سائداً قبل عملية التحرير، إذ سارعت الصحف إلى جذب القراء بنشر القصص المثيرة والتقارير الفاضحة. وعلى نحو ما لاحظه مدير شركة تركي وخبير في وسائط الإعلام، من باب القاعدة العامة أن وسائط الإعلام ميدان لا تؤدي فيه بالضرورة المنافسة الحرة في السوق إلى زيادة النوعية – فكثيراً ما يكون السباق نحو جذب المشاهدين أو القراء في بيئة تحررت فيها وسائط الإعلام حديثاً سباقاً إلى الحضيض، لا سباقاً إلى القمة[١٣]. وهكذا تؤدي بشكل مباشر هذه القوى المسيطرة على السوق، في كل من الغرب والبلدان الإسلامية التي تنطبق فيها قوى السوق على وسائط الإعلام، إلى تغطية الأحداث بمزيد من الإثارة و"الشعوبية".

٢٤- وفي أجزاء من العالم الإسلامي، تؤدي هذه البرامج الشعوبية في توجهها، التي تبث لمشاهدين لهم تصورات راسخة بأنهم ضحايا وأذلة بيد قوى الغرب، إلى توجه قومي ينقلب

١٢ مقابلة الكاتب مع إمبراطور الإعلان الكبير في لبنان أنطوان شوري، ١٢ شباط/فبراير ٢٠٠٥.
١٣ مقابلة الكاتب مع أحمد أورين من مجموعة إيهلاس، ٣ أيار/مايو ٢٠٠٥.

أحياناً على غير المسلمين. ثم هناك أيضاً ترسخ لشعور بمعاداة الغرب، لا سيما معاداة اليهود (على أساس الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وإن كان اليوم معمماً على نطاق واسع) ويتجسد في وسائط إعلام العديد من البلدان الإسلامية[١٤]. فتأثير وسائط الإعلام غير دقيق قياسه لكنه لا شك فيه: ففي باكستان أحصت لجنة الكنائس الكاثوليكية ١٣٠٠ حادث ينم عن مغالطات فاضحة ضد الأقليات، وقوالب نمطية وخطاب يحرّض على الكراهية ورد في أربع صحف وطنية صادرة بالأوردو في أثناء منتصف عام ٢٠٠٥، تُوجت بحرق عدة كنائس كاثوليكية في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٥[١٥].

٢- أثر وسائط الإعلام في الناس في الغرب: الخوف والقوالب النمطية الراسخة

٢٥- عادة ما حظيت وسائط الإعلام الإخباري في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية بثقة جمهورها أكثر مما نالته نظيراتها في البلدان الإسلامية في غالبيتها، والسبب في ذلك راجع إلى حد كبير إلى كون تاريخ استقلالها عن الدولة أطول. فبينما كانت مؤسسات وسائط الإعلام الأوروبية (لا سيما الصحافة المطبوعة) صريحة في ارتباطها بإيديولوجية سياسية أو بأخرى على أساس أن تعدد المنظورات يجلب التوازن الشامل، عادة ما قدمت وسائط الإعلام في الولايات المتحدة على أنها موضوعية.

٢-١ *القومية والشعوبية*

٢٦- تغير الكثير منذ ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١. في الولايات المتحدة، أضحى من الواضح أن هناك شعوراً قومياً أقوى في وسائط الإعلام. فسلوك نهج نقدي أقل لدى التحضير لحرب العراق، والممارسة المثيرة للجدل المتمثلة في "إخفاء" صحفيين في صفوف الجنود الغزاة، وفضيحة تغطية مزاعم الإدارة الأمريكية التي أدت إلى الحرب في أكبر المؤسسات الإعلامية التي تحظى بالاحترام، ومنها نيويورك تايمز، كلها قضايا موثقة بشكل جيد. وحتى بوسائل عادية أكثر، كان التحول في نهج وسائط الإعلام بعد ١١ أيلول/سبتمبر واضحاً حيث أكملته شعارات الأعلام المرفرفة على الشاشات والشارات الوطنية المثبتة في طيات صدر السترات التي يرتديها مذيعو الأخبار[١٦]. وفي الوقت نفسه، ظهرت أشكال متنافسة من "الموضوعية"، بظهور وسائط إعلام محافظة سياسياً، مدعية أنها تعارض ما سمته دائما تحيزاً لبيرالياً بل حتى "لا أمريكياً" في وسائط الإعلام الإخباري. جرت كل هذه التطورات في سياق تنافس

---

١٤ يدل على ذلك عزوف العديد من مقدمي البرامج عن بث برامج حوارية مع شخصيات يهودية بارزة، والانتقاد الذي يوجه إلى قنوات مثل الجزيرة، كانت رائدة في تقديم برامج حوارية مع ضيوف ومعلقين يهود.

١٥ Waqar, Ali: Hate mongering worries minorities. The Daily Times, April 25, 2006، موجود على الإنترنت في العنوان التالي: www.dailytimes.com.pk/default.asp?page=2006%5C04%5C25%5Cstory_25-4-2006_pg7_26، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

١٦ أثار مقدم الأخبار في قناة سي بي إس دان راذر انتقادا شعبيا شديداً بعدما ذكر في مقابلة مع شبكة سي إن إن في ٢٢ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ أنه لن يضع شارة العلم الأمريكي أثناء بث برنامجه كما كان يفعل العديد من مقدمي الأخبار الآخرين، قائلا، "الأمر ليس مستصوباً بكل بساطة".

الإعلام الإخباري لجذب الشعب في وقت ارتفع فيه الإحساس بالوطنية وكراهية الأجانب – على غرار الديناميات التي تحركت في بعض البلدان الأوروبية بشأن أزمة الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية.

٢٧- وكما هو الحال في بيئة وسائط الإعلام المحرَّرة مؤخراً على نحو ما أشير إليه أعلاه، وبينما كان يُتوقع من تطور حديث نسبياً للمؤسسات الإخبارية أن يدر أرباحاً، فإذا به يدفع بمنتجي الأخبار إلى تقديم معلومات سطحية أو ناقصة، وتكرار القوالب النمطية، وتسليط الضوء على النزاعات دون سياق لجلب أكبر عدد ممكن من الجمهور وتلبية حاجة ملحة لدورة إخبارية على مدار ٢٤ ساعة ظهرت بظهور شبكة سي إن إن (CNN) والقنوات المنافسة لها[١٧]. وملأ الهلع الأخلاقي[١٨] ميدان الإثارة: ففيما يتعلق بتغطية العالم الإسلامي، أصبح خطر الإسلام المتشدد جديراً بالذكر من الناحية الإخبارية، وأُغفلت أخبار مختلف المجتمعات التي تعيش سوية. ويزيد تحيز مالكي وسائط الإعلام وعدم اطلاع الصحفيين على الثقافات الإسلامية من تحريف المخطط المرسوم عندما يتعلق الأمر بتغطية أخبار العالم الإسلامي.

٢٨- ولا يوجد تحد أكبر من التضخيم الإعلامي للتطرف في أي مجال غير تقاطع الدين مع السياسة. فالأمريكيون على سبيل المثال، يُمطرون في التلفزيون بوابل من الأخبار عن الإسلام والمسلمين والعرب. غير أن التغطية، كما يقول أستاذ السياسة العربية سامر شحاتة، "تطغى عليها الحرب في العراق، وأخبار أسامة بن لادن، وأبي مصعب الزرقاوي، وعمليات الإرهاب وقطع الرؤوس."[١٩]وفي ظل هذه الأخبار السيئة كلياً، أصبح الإسلام مرادفاً للجهاد وأضحى الجهاد يُفهم على أنه عنف لا عقلاني وغير مبرر، يقوم على الدين وعادة ما يستهدف غير المسلمين. وقد أجج التصور الخاطئ وغير الواضح غالباً في وسائط الإعلام معادلة الإسلام بالتطرف، باعتبار أن الزي التقليدي للمرأة يدل على اضطهادها.

٢-٢ *وسائط الإعلام الترفيهي في الغرب*

٢٩- زادت حدة هذه الآراء المعادية للمسلمين بفعل وسائط الإعلام الترفيهي الذي أثار مضمونه الانتباه- ذلك أن المنتجات السائدة لوسائط الإعلام الترفيهي الغربي تعيش على تضخيم القوالب النمطية لكل من الثقافتين الغربية والإسلامية، وبينما تروي عطش المستهلك إلى الترفيه تزيده إلى الفهم تعطشاً. وبينما تزيد هذه البرامج من الإحساس بالذل والغضب في العالم الإسلامي، يميل تأثيرها في غير المسلمين في الغرب إلى تشديد قوالبهم النمطية إزاء الإسلام وإلى نزع صفة الإنسانية عن المسلمين.

---

١٧ Seib, Philip: The news media and the clash of civilizations. Parameters 34 (Winter 2004-2005)، موجود على الإنترنت على العنوان التالي: http://www.carlisle.army.mil/usawc/parameters/04winter/seib.pdf ، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

١٨ انظر Ter Wal, Jessica: Racism and Cultural diversity in the Mass Media. European Research Centre on Migration and Ethnic Relations. European Monitoring Centre، وانظر Khattab, Umi: Gee, is anti-God anti-government? Moral panic in Malaysia. Universiti Kebanssaan Malaysia, 2002.

١٩ Shehata, Samer S: Professor of Arab Politics at Georgetown University Centre for Contemporary Arab Studies, cited in James, Bonnie: Negative American views about Islam. Gulf Times, 16-4-06. Also available at Pew Research Centre for the People and the Press.

٢-٣ *القوالب النمطية والخوف*

٣٠- منذ ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، حوصر الأمريكيون، الذين يشاهدون المسلسلات التلفزيونية أكثر من الأخبار والأفلام الوثائقية أو التلفزيون التعليمي، بأفلام درامية حول الإرهاب ووكالات مكافحة الإرهابيين. ونادراً ما يضع معظم هذه البرامج الترفيهية العرب أو المسلمين في أي صورة غير صورة الإرهابيين أو المتورطين بطريقة ما في قضايا بشأن الإرهاب[٢٠]. فالصور الدائمة التي يكونها العديد من الأمريكيين عن المسلمين سلبية. وتشير جميع استطلاعات الرأي تقريباً على مدى السنوات الثلاث الماضية أن نسبة كبيرة من الأمريكيين يعتقدون أن الإسلام يشجع العنف[٢١]. وكشف استطلاع للرأي أجراه مركز بيو للأبحاث لاستطلاع آراء الناس والصحافة أن ٣٦ في المائة من الأمريكيين غير المسلمين يقولون إن الإسلام أميل إلى تشجيع العنف في صفوف أتباعه مقارنة بالأديان الأخرى[٢٢].

٢-٤ *مالكون أقل ومنظورات أضيق*

٣١- علاوة على ذلك، كان دافع الربح عاملاً مؤدياً إلى تجمع ملكية وسائط الإعلام، مما يحد بدوره من المنظورات التي تُقدم منها وسائط الإعلام. فكما لاحظ إمبراطور الإعلام تيد تورنر، لا تملك كبريات الشركات الإعلامية "شبكات البث والمحطات المحلية فحسب، بل هي تملك أيضاً شركات الكابل التي تنقل إشارات منافسيها والاستوديوهات التي تنتج معظم البرامج. ولأخذ نظرة عن هذا القطاع وكيف أصبح متجمعاً، إليك التالي: في عام ١٩٩٠، كانت شبكات البث الكبرى –أي بي سي، وسي بي إس، وإن بي سي، وفوكس- تملك كلياً أو جزئياً ١٢,٥ في المائة فقط من المسلسلات الجديدة التي تبث. وبحلول عام ٢٠٠٠، ارتفعت إلى ٥٦,٣ في المائة. وبعدها بعامين فقط، قفزت النسبة إلى ٧٧,٥ في المائة"[٢٣]. وتثير عملية التجمع هذه مخاوف بشأن أثرها في تنوع الآراء والمنظورات المتاحة في وسائط الإعلام، إضافة إلى العقبات التي تعترض دخول الشركات الإعلامية المنافسة الجديدة التي، كما لاحظ تيد تورنر "إما تلتهمها إحدى الشركات الكبرى أو تُدفع إلى الإفلاس تماماً".

٣- الإنترنت والثورة الرقمية

٣٢- إلى جانب هذه الاتجاهات السائدة في كل من الغرب والعالم الإسلامي، جاءت "وسائط الإعلام الجديد". فقد فتحت الإنترنت وتكنولوجيات الإعلام الجديدة – لا سيما تطور قطاعي الإنتاج والتوزيع في وسائط الإعلام الرقمي- آفاقاً جديدة لمستهلكي الإعلام لكي يصبحوا منتجين لهذا الإعلام وناشرين له. ويصعب على أجيال ما قبل ١٩٨٠ أن تدرك أهمية هذا التطور. ذلك أن قوة هذا التطور وتأثيره المحتمل في القضايا الاجتماعية يمكن مقارنته بما قاله مارتن لوثر كينغ في أثناء حقبة الحقوق المدنية، "ثمة وسيط جديد اختُرع ويدعى التلفزيون

---

٢٠ Shehata, in James, *op cit*.

٢١ Shehata, in James, *op cit*.

٢٢ "Views of Muslim-Americans Hold Steady After London Bombings." Pew Forum on Religion and Public Life, July 26, 2005

٢٣ *Washington Monthly*, July/August 2004

وسنظهر من خلاله ... بشاعة ما كنا نواجهه طيلة حياتنا"[٢٤]. ويمكننا اليوم أن نعيد الكلام نفسه.

٣٣- هذه الوسائط فعالة للغاية في الوصول إلى الشباب. فقد أورد تقرير لمجلة بيزنس ويك أن "الشبان الذين تتراوح أعمارهم ما بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة يقضون في المتوسط مدة ٦ ساعات ونصف في مشاهدة التلفزيون، وألعاب الفيديو، وتصفح الإنترنت، حسب دراسة استقصائية أجرتها مؤسسة كايزر لشؤون الأسرة. ويقومون بمهام متعددة في ربع ذلك الوقت. وجاءت أكبر زيادة في استخدام الحاسوب للقيام بأنشطة مثل التواصل الاجتماعي، الذي تضاعف ثلاث مرات منذ عام ٢٠٠٠، ليبلغ ساعة واحدة و٢٢ دقيقة في المتوسط"[٢٥].

٣٤- وثمة مثال واحد على الميادين المتاحة لإنتاج ونشر الإعلام الجديد يعطي لمحة في قوة هذا الإعلام وإمكاناته: ذلك أن العضوية في موقع الحوار وتبادل الآراء الشبابي في توجهه www.Myspace.com تضاعفت أربع مرات لتبلغ ٤٠ مليون عضو على مدى ٢٠٠٥ فقط، مما يجعل الموقع يحتل المرتبة ١٥ في شبكة الإنترنت بكاملها في الولايات المتحدة من حيث عدد زيارات الموقع حسب تقدير مؤسسة نيلسن/نيت ريتينغز لتصنيف المواقع[٢٦]. وحسب شبكة سي إن إن، ازدادت العضوية في هذا الموقع إلى ٦٠ مليون في نيسان/أبريل ٢٠٠٦[٢٧] وصُنف الموقع مؤخراً "سادس أكبر موقع يُزار على الإنترنت حسب وكالة عالمية لتعقب نشاط الشبكة"[٢٨]. ويعد هذا الموقع من بين المواقع العديدة في الإنترنت التي يتواصل فيها الناس من جميع أنحاء العالم ويتبادلون الموسيقى والفيديو ومعلومات أخرى. فأشرطة الفيديو المنزلية وغيرها من المنتجات الإعلامية الأخرى التي تجلب الاهتمام وتسترعي اهتماماً واسعاً بهذه المواقع تثير ما يكفي من الانتباه لتجعلها منافسة لمعظم المؤسسات الإعلامية الكبرى، وكثيراً ما ينتهي بها المطاف في الواقع إلى البث عبر المؤسسات الإعلامية التقليدية نتيجة لذلك. وثمة دلالة أخرى على قوة هذا الوسيط ويتمثل في كون الشركة الأم المالكة لموقع www.Myspace.com وهي شركة إنترميكس ميديا، قد اشتراها روبرت مردوخ في تموز/يوليو ٢٠٠٥ بمبلغ ٥٨٠ مليون دولار.[٢٩]

٤- ما يمكن عمله

٣٥- رغم الأثر المستقطب الذي تمارسه مجمل وسائط الإعلام على العلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي، تعد وسائط الإعلام من أخصب ميادين العمل التي يمكن أن تصل كلا الفئتين من الناس.

٣٦- تشكل كل من وسائط الإعلام التي تحررت مؤخراً من مراقبة الحكومة المباشرة وعالم وسائط الإعلام الجديد فرصاً لمبادرة تحالف الحضارات. وهذه ميادين يمكن لتحالف

---

٢٤ خطاب ألقاه مارتن لوثر كينغ الصغير في بيرمينغهام، بولاية ألاباما عام ١٩٦٢.

٢٥ "The MySpace Generation", BusinessWeek Online، موضوع الغلاف، ١٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥.

٢٦ المرجع نفسه.

٢٧ "MySpace.com Posts Safety Ads", CNN.com, April 11, 2006.

٢٨ Alexa's Webtraffic Ranking, http://www.alexa.com/site/ds/top_500، اطلع عليه في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٢٩ "The MySpace Generation", BusinessWeek Online، موضوع الغلاف، ١٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥.

الحضارات أن يعمل من خلالها على تشجيع مساءلة وسائط الإعلام، والنهوض ببدائل لتفسير الأحداث والنظر إليها، وتقديم منابر للأصوات البناءة التي قد لا تُسمع بدونها. وفي الآن ذاته، ينبغي لتحالف الحضارات أن يسعى كذلك إلى العمل مع المؤسسات الإعلامية الكبرى التي أثبتت مكانتها، حتى يكون الأثر كبيراً.

٣٧- غير أنه بصرف النظر عن القيادة، تتطلب وسائط الإعلام الإخباري فعلياً المزيد من الاهتمام المباشر. ويبدأ ذلك بصحفيي القطاع أنفسهم. فهناك حاجة ملحة إلى تقليل جهلهم للثقافات من خلال عقد لقاءات وجها لوجه وجلسات استئناس، إضافة إلى التبادلات وتقاسم المهارات.

٣٨- وينبغي أيضاً دعم زيادة الاستقلالية والتنوع في أوساط المؤسسات الإعلامية في العالم الإسلامي، والحذر من الانحياز في وسائط الإعلام الغربي. وسيتوقف أثر هذه المبادرات على مدى فتح مديري وسائط الإعلام ومالكيها أبوابَ غرف الأخبار والوكالات لتقبل هذه الجهود. وللاستفادة الكاملة من هذه الفرصة الرائدة، من الحاسم إيجاد التمويل والتوسع من أجل زيادة النفاذ إلى الإنترنت لصالح السكان غير المستفيدين حالياً.

٣٩- وختاماً، تجدر الإشارة إلى جهود كبيرة تُبذل حالياً في بعض المجالات المقترح العمل فيها أدناه. ومن أبرز هذه الجهود، مؤتمر الرباط لتعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات، الذي عقد في الفترة ما بين ١٤ و١٦ حزيران/يونيه ٢٠٠٥ بدعم من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلم والثقافة، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلم، والمركز الدانمركي للثقافة والتنمية، ومؤسسة أنا ليند لأوروبا والبحر الأبيض المتوسط، الذي تمخض عن عدد من التوصيات ذات الصلة في ميدان التربية ووسائط الإعلام، لا سيما وسائط الإعلام الإخباري. غير أنه، وإن كانت بعض الالتزامات الهامة قد تمت بعد مؤتمر الرباط من قبل اليونيسكو، على سبيل المثال، من أجل دمج جُل التوصيات الصادرة في تمويلها الحالي أو برامجها الجارية، ومن جانب المركز الدانمركي للثقافة والتنمية لإطلاق مبادرات تجريبية لتدريب الصحفيين، والتبادل الثقافي للصحفيين و"التوأمة" المهنية، إلا أن خطة عمل الرباط عُرقلت. وكان ذلك نتيجة غياب التزامات محددة أخرى للدول والشركاء وعدم وجود برنامج مستدام لرصد المبادرات، بما في ذلك عقد مؤتمر لمتابعة ما أُحرز من تقدم الذي كان من المقرر عقده في كوبنهاغن في ٢٠٠٦ ولكن الأمر يبدو الآن من غير المحتمل. وفي ضوء ذلك، وفي إطار المشاورات التي جرت مع المهنيين والمناضلين في وسائط الإعلام من جنوب شرق آسيا، والشرق الأوسط، وأوروبا، والولايات المتحدة، ومن اليونيسكو، واليونيسيف، بضعة منهم شاركوا بشكل مباشر في مؤتمر الرباط، تم تشجيع أمانة تحالف الحضارات على أن تكون القضايا الهامة التالية المشار إليها أدناه محط ترحيب كبير وتُعرض للنظر فيها بعمق على أساس هذا التحليل وبصفتها خاتمة لهذه الورقة.

١) *إنشاء شبكة تابعة لتحالف الحضارات مكونة من المناضلين في وسائط الإعلام ومن مراكز[٣٠] لحفز وسائط الإعلام ورصدها ومكافأتها*

٤٠- ينبغي إنشاء مركز أو، على الأرجح، شبكة من المراكز القائمة والمناضلين في الشرق الأوسط، وجنوب شرق آسيا، والولايات المتحدة، وأوروبا من أجل *إنتاج* مضمون إعلامي بمنظورات بناءة أكثر، *ورصد* التقارير الإعلامية المثيرة، *ومكافأة* نماذج التغطية الإعلامية المهنية والبناءة للقضايا الخاصة بالعلاقات بين العالم الإسلامي والغرب. وينبغي للمركز أن يستفيد من الدروس المستفادة في الماضي عندما كانت الوكالات والحكومات تعمل سوية بشأن مبادرات شبيهة. وبوجه خاص، من شأن مختلف القوانين الحكومية أن تعقّد من وحدة مختلف المراكز الفرعية في جميع أنحاء العالم. وسيقوم هذا المركز أو هذه الشبكة بثلاث مهام خاصة هي:

ألف- تعليق الرد السريع: بإمكان المركز أو الشبكة إعداد ونشر *تعليقات للرد السريع وافتتاحيات وتعليقات مصورة*، تعزز التفاهم والنظرة البناء بشأن الخلافات الحالية بين العالم الإسلامي والغرب. وسيكون الغرض من ذلك المساعدة في تشكيل فهم القضايا الخاصة بالعلاقات بين العالم الإسلامي والغرب، لا سيما في "الفترات الملائمة للتدريس" عندما تكون العلاقات بين المجتمع الغربي والمجتمع الإسلامي في غالبيته قضية الساعة في جميع أنحاء العالم (أي، في أشهر أزمة الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية، وعقب الجدل الذي أثير بشأن حكم الإعدام الذي صدر في حق الأفغاني الذي اعتنق المسيحية ثم ألغي الحكم بعد ذلك، وبعد قصة الرجم النيجيرية منذ سنتين خلتا، وما إلى ذلك). فكل عام يقع حدثان أو ثلاثة من هذا النوع، مما يؤدي بالمؤسسات الإعلامية إلى التسابق على جمع مواد تساعدها في وضع سياق لهذه القضايا وفي عرضها. وتؤثر طريقة عرض وسائط الإعلام لهذه القضايا في كل من الغرب والعالم الإسلامي في غالبه تأثيراً كبيراً في مدى كون الناس بل حتى واضعي السياسات يفكرون بطرق بناءة أو مستقطِبة بشأن وجاهة هذه القضايا ومدلولها. وقد يكتب كتاب شباب مقالات افتتاحية يوقعها (ويشارك في توقيعها) شخصيات كبرى في الغرب والبلدان الإسلامية في غالبيتها (وربما أعضاء في الفريق الرفيع المستوى)، وتُترجَم بسرعة إلى اللغات الرئيسية (الفرنسية والإنكليزية والعربية والأوردو والباهاسا إندونيسيا على سبيل المثال)، وتوزَّع على المحررين في الصحف الكبرى في العالم من أجل طبعها. وستساعد مكانة الشخصيات الموقعة على هذه المقالات، وتقديمها في الوقت المناسب، وإتاحة المقالات باللغات المحلية في الاستفادة أقصى ما يمكن من نشر هذه المقالات وإعادة نشرها. وتوجد نماذج ناجحة من هذه النظم[٣١] لكنها لا توجد على صعيد عالمي أو بمستوى الكتاب الكبار حتى يتسنى للتحالف أن يطبقها. وبالإمكان تعبئة آلية مشابهة تستخدم مقابلات بالفيديو توزع على المؤسسات الإخبارية التلفزيونية عبر الإنترنت.

---

٣٠ أعرب عدد من المؤسسات عن الاهتمام بالمشاركة في هذه الشبكة، منها جامعات في طور إعداد مبادرات في هذا الشأن.

٣١ http://www.commongroundnews.org/index.php?sid=1&lang=en، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦. وانظر http://www.sfcg.org/resources/resources_pih.html، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦ - أيد مجلس القادة المائة التابع للمنتدى الاقتصادي العالمي دائرة أخبار الأرضية المشتركة: مبادرة الحوار بين الغرب والعالم الإسلامي وتعمل بالإنكليزية والبهاسا إندونيسيا والعربية.

باء- رصد وسائط الإعلام: قد يبدأ المركز أو الشبكة برصد تغطية وسائط الإعلام المؤثرة والمشهورة لقضايا الإسلام والغرب بحثاً عن الأحداث المغالطة الصارخة والازدرائية وغيرها من الأحداث غير المسؤولة وتقديم توصيات وأفضل الممارسات بشأن كيفية مكافحتها[٣٢]. وينبغي لجهات الرصد أن تسعى إلى الحصول على مساهمات جهات رصد قائمة مثل مبادرة منظمة المؤتمر الإسلامي التي أنشئت حديثاً، ومركز رصد العنصرية وكراهية الأجانب التابع للاتحاد الأوروبي[٣٣]، واليوم الأوروبي لرصد وسائط الإعلام[٣٤]. وينبغي للتقرير العادي "لرصد وسائط الإعلام" أن يكون على قدر كاف من الجودة من حيث البحث الراقي، والاستقلالية والصحافة لكي يدرج في منشورات الصحافة الدولية، والشؤون العامة، والمعتقدات والأديان، ومنشورات أخرى ومواقع إنترنت لها مصلحة في الحوار.

جيم- مكافأة وسائط الإعلام: يمكن لجهات رصد وسائط الإعلام أن تحيل أمثلة عن التغطية الإعلامية البناءة والإيجابية إلى فريق استشاري مستقل يكافئ بانتظام الصحفيين والمؤسسات الإعلامية على مساهماتهم المتميزة في التفاهم بين الثقافات. ويمكن لبرنامج المكافآت المرموق أن يتعاون مع برامج المكافآت الحالية مثل جائزة الصحافة التي تقدمها مؤسسة أنا ليند لأوروبا والبحر الأبيض المتوسط التابعة للاتحاد الأوروبي من أجل الحوار بين الثقافات[٣٥]، أو جائزة سيفيس (CIVIS) الأوروبية للاندماج والتنوع الثقافي[٣٦]، أو أن يقدر بصفة مستقلة تقارير تتناول قضايا الجنسين، ومناطق محددة ومعتقدات وقيماً وتكون لها صلة بالعلاقات بين الغرب والعالم الإسلامي. ويمكن النظر أيضاً في رصد مكافأة مستقلة لتمكين المرأة. وتقدم هذه المكافآت إلى الإنجاز المتميز في تناول قضايا المرأة داخل وسائط الإعلام العربي؛ وينبغي لهذه المكافأة أن تحفز التغطية الإعلامية أيضاً. *(هذا اقتراح من الحوار الإلكتروني بشأن وسائط الإعلام).*

٢) *حرية الوصول إلى برامج الإعلام التعليمي*

٤١- قد يدعم التحالف نشر برنامج إعلامي غير مثير وتعليمي، من خلال مساعدة جهات البث الفضائي الضعيفة مواردها في العالم الإسلامي، على الوصول إلى البرامج الغربية ذات الإقبال الواسع والمحتوى التعليمي. ويعد مسؤولو البث متشوقين لهذه البرامج لملء الفراغ الحاصل في وقت البث لكنهم يفتقرون إلى حقوق الاقتناء وإلى مواد مترجمة من قناة Discovery، وNational Geographic، ومختلف قنوات البث العمومية والقنوات المتخصصة مثل Vision Television (كندا) أو TogetherTV، وأي برامج تفاعلية أخرى.

---

٣٢ *انظر* What can a word do? Materials of Armenian, Azerbaijani and Georgia Press Analysis، موجود بالإنكليزية والروسية على موقع معهد التنوع الإعلامي، قسم الموارد. موجود على العنوان: www.media-diversity.org، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٣٣ http://eumc.eu.int/eumc/index.php?fuseaction=content.dsp_cat_content&catid=2، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٣٤ اليوم الأوروبي لرصد وسائط الإعلام (لصور الأقليات ووسائط الإعلام). موجود على الإنترنت في العنوان التالي: http://www.multicultural.net/edmm/index.htm ، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٣٥ انظر http://www.euromedalex.org/Prize/index.html ، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٣٦ انظر http://www.wdr.de/tv/civis/03civis00_en.phtml، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٣) *تعزيز قدرة المهنيين العاملين في وسائط الإعلام على تغطية مواطن التقاء الدين والسياسة وتغطية الأخبار في المجتمعات الغربية والإسلامية*

٤٢- ثمة حاجة إلى الإسراع بتطوير المهارات المهنية لمواكبة ظهور المؤسسات الإعلامية الجديدة في العالم الإسلامي وإلى غرس المزيد من الحساسية في أنفس المراسلين الصحفيين من أجل التغلب على القوالب النمطية، ومقاومة الإثارة، وتقديم الأخبار الهامة بطريقة مبتكرة في كل من الغرب والعالم الإسلامي. وعلاوة على ذلك، تقتضي الكفاءة على صعيد الثقافات مناهج دراسية جديدة في مدارس الصحافة، وموارد جديدة لتطوير المسار المهني، ومبادئ توجيهية أخلاقية جديدة وآليات للمساءلة تركز على الإحساس بتنوع الثقافات. وثمة حاجة أيضا إلى الاعتراف بوجود مفهوم ازدواجية المعايير، حيث تحتل معاناة جماعة ما الصدارة في وسائط إعلامها بينما تتعرض للانتقاد في أخرى بصفتها تلاعبا بالمشاعر الشعبية. فقد انتقد العديد في الغرب التركيز على عرض معاناة العرب والمسلمين في المحطات الفضائية العربية لكنهم لا يدركون أن البث المتكرر للجنود الأمريكيين في مقديشو عام ١٩٩٣ كانت له آثار مشابهة على سكانهم.

ألف- <u>تدريب الصحفيين</u>: إن تدريب الصحفيين ضروري للحد من التقارير الإعلامية المضلِّلة ثقافياً التي تكرر القوالب النمطية وتشدد على المواقف المتطرفة. وينبغي وضع نماذج وبرامج كاملة في مجال التدريب على وضع تقارير مطلعة ثقافياً وحساسة باستشارة من منظمات مثل معهد التنوع الإعلامي[٣٧] ومنظمات دولية رائدة مثل معهد صحافة الحرب والسلام، ومعهد بانوس باريس، وشبكة إنترنيوز، ومنظمة Press Now، التي تقدم جميعها تطويراً للقدرات في ميدان الصحافة في عدد من البلدان أصلاً. ومن شأن تأييد تعيين الصحفيات العربيات في العالم غير العربي أن يشجع أيضاً تطور المرأة العربية وتقدمها في مجال الإعلام. (من الحوار الإلكتروني). ولتحسيس الصحفيين الغربيين بالقيم الثقافية الإسلامية واللغة الملائمة، ينبغي توجيه الدعوة إلى مركز ذي سمعة في مجال التدريب المهني مثل معهد بوينتر[٣٨]، الذي سبق له أن تصدى للفوارق الجنسانية والعنصرية في غرف الأخبار وفي الأخبار، من أجل المشاركة مع نظراء له لوضع برنامج تدريبي للتحسيس الثقافي. *وفي جميع الحالات، يجب أن يتضمن التدريب كبار المحررين والمديرين.*

باء- <u>مواد عن تقاطع الدين والسياسة</u>: ينبغي دعوة معهد التنوع الإعلامي إلى تكييف دلائله المتعلقة بأفضل الممارسات في الصحافة لفائدة الصحفيين الغربيين الذين يعدون تقارير عن قضايا متعلقة بالإسلام والمسلمين لتشمل مواد من قبيل المراجع التاريخية، ومعلومات أساسية لفهم العلمانية، والأصولية، والإيمان والقانون، دولياً وأقاليمياً. وينبغي أن يشمل التوزيع رابطات الصحافة، ومدارس الصحافة، وجماعات حقوق الإنسان ومجتمعات ثقافية محددة.

---

٣٧ http://www.media-diversity.org/، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٣٨ ينظر معهد بوينتر حالياً في إعداد دورة دراسية على الإنترنت للصحفيين المحتاجين إلى معلومات بشأن كيفية الكتابة عن الإسلام والمسلمين.

جيم- المنهج الدراسي لمدارس الصحافة: ينبغي لجامعة السلام التابعة للأمم المتحدة في كوستاريكا، التي تقدم أصلاً دورة دراسية تختتَم بشهادة في مجال تقديم التقارير المراعية للنزاعات، أن تدعى إلى قيادة اتحاد لمدارس الصحافة في الغرب من أجل الاستجابة إلى قلة التعليم الرسمي في فهم قضايا الإسلام والغرب وتقديم التقارير بشأنها، من خلال تنظيم دورات خاصة لتدريب طلاب الصحافة وحلقات عمل لوضع المناهج الدراسية أو تقديم منح لكليات الصحافة. ومدرسة أننبرغ للاتصال في جامعة جنوب كاليفورنيا على استعداد للشروع فوراً في وضع مناهج دراسية من شأنها أن تدرّس الصحفيين المتدربين تاريخ المجتمعات الإسلامية وتعقيدات الحركات الإسلامية المعاصرة. وينبغي للمناهج الدراسية أيضاً أن تشمل عناصر عن الإسلام والمرأة. (*من الحوار الإلكتروني*)

٤) *دعم وضع معايير إعلامية مهنية وتشكيلها وتنفيذها*

٤٣- من شأن الدعوة إلى إنشاء مدونة لقواعد السلوك للصحفيين أن تؤدي إلى التعسف في تفسيرها من قبل السلطات المرخصة داخل كل دولة لأسباب حزبية، كما أنها تتعارض مع مفهوم حرية التعبير المؤسس لحقوق الإعلام في العديد من البلدان. غير أنه تم وضع معايير لتبديد العديد من المخاوف المتعلقة بحالة التغطية الإعلامية للثقافات، بما في ذلك مدونة الاتحاد الدولي للصحفيين[٣٩]، ويُعمل اليوم بهذه المعايير بشكل طوعي في العديد من البلدان. ويشجَّع أعضاء الفريق الرفيع المستوى وغيرهم من الشخصيات البارزة على توجيه نداء أخلاقي إلى وسائط الإعلام من أجل حمل مسؤوليتهم محمل الجد في مهنتهم القوية. وقد تكون رابطات الصحفيين غير المتحزبين شريكاً معقولاً للنظر في اعتماد أو تعديل هذه المدونات لإدراجها في مدونات ممارستها.

ألف- حث ودعم جمع نقابات الصحافة المهنية من أجل وضع معايير للممارسة الإعلامية الأخلاقية

في العديد من البلدان التي يعرف فيها المهنيون العاملون في وسائط الإعلام تحررا في القوانين المنظمة لمهنتهم، تظل كيفية إنشاء وتنفيذ المعايير المهنية للسلوك الأخلاقي مشكلة قائمة. فبدلاً من الدعوة إلى وضع مدونات عالمية لقواعد السلوك لقطاع الإعلام، ينبغي للتحالف أن يدعو ويحث على جمع نقابات الصحافة لوضع معايير مهنية وآليات لتعزيز ثقافة مهنية تُدمج فيها تلك المعايير.

باء- جمع المشرعين المعنيين بقوانين الصحافة، ومالكي المؤسسات الإعلامية، ومديري مدارس الصحافة، والزعماء الدينيين من أجل تيسير مزيد من توافق الآراء بشأن الخطوط الفاصلة بين حرية التعبير وخطاب الكراهية في مختلف المجتمعات. ليست حرية التعبير بالأمر المطلق في أي مكان. فرغم المخاوف المشروعة السائدة في وسائط العاملين في قطاع الإعلام بشأن عدم تقييد الهيئات الحكومية لنطاق عملهم

٣٩ http://www.ifj.org/default.asp?Issue=ETHICS&Language=EN، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

لأغراض سياسية، فإن على أي مجتمع متنوع أن يرجع بانتظام إلى النظر في الخطوط التي يضعها في قوانينه وفي عمليات اتخاذ القرار في خط التحرير، لتحديد الخط الفاصل بين حرية التعبير والخطاب المحرض على الكراهية بل على العنف ضد الآخرين. وينبغي للتحالف أن يدعو المشرعين والعاملين في الإعلام إلى الاجتماع دورياً من أجل النظر، على سبيل المثال، فيما إذا كانت القوانين التي أُنشئت للحماية من وسائط الإعلام العنصرية أو المعادية للسامية قد أصبح من الواجب الآن توسيع نطاقها ليشمل الحماية من خطاب شبيه يدعو إلى كراهية المسلمين والإسلام في الغرب.

٥) *الحد من الانعزال الثقافي وتطوير وعي عالمي في أوساط العاملين في قطاع الإعلام*

٤٤- ثمة حاجة ماسة إلى الحد من الجهل الثقافي لدى العاملين في قطاع الإعلام الإخباري – ويمكن تحقيق ذلك عبر لقاءات مباشرة، وتبادل المهارات، والاستئناس بالزملاء في المهنة المنتمين إلى مختلف الثقافات.

<u>توسيع نطاق عمليات تبادل العاملين في الإعلام في الغرب ونظرائهم العاملين في البلدان الإسلامية في غالبيتها</u>

من أجل الحد من مظاهر الجهل والعزلة في الثقافة، المتجلية في التقارير الإعلامية، ينبغي للصحافيين ذوي مهارات خاصة تتقاطع مع قضايا الإسلام والغرب، مثل الدين والإيمان، والهجرة، وحقوق الإنسان والسياسات، أن تتاح لهم فرصة التبادل، وحضور المؤتمرات المشتركة[٤٠] وربما المجالس الدائمة المعنية بإعداد التقارير عن العلاقات بين الإسلام والغرب. وينبغي النظر في إمكانية دعم مبادرة[٤١] الحكومة الماليزية لإنشاء مركز إسلامي لتدريب الصحافيين، مع توجيه الدعوة إلى صحافيين غير مسلمين من أجل المشاركة. وينبغي عقد مؤتمر دولي يقارن وينظر في حالات كراهية الإسلام وكراهية الأجانب في وسائط الإعلام الغربي مع نظيراتها في وسائط إعلام البلدان الإسلامية في غالبيتها، برعاية الاتحاد الدولي للصحفيين أو جهات مهتمة شبيهة، ويكون المؤتمر نقطة انطلاق لتبادلات صغيرة فيما بين الصحفيين المتخصصين. وينبغي الإكثار من البرامج المهنية وبرامج المنح من قبيل برنامج المركز الدولي للصحافة الذي يأتي بصحفيين مسلمين إلى مواقع غربية وبالعكس من أجل تبادلات عمل مطولة.

---

٤٠ *انظر* Euromed and the Media Program of the European Union's European-Mediterranean partnership، موجود على الإنترنت في العنوان التالي: http://ec.europa.eu/comm/external_relations/euromed/media/index.htm، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٤١ *انظر* Malaysian government proposes Islamic journalism centre, May 3, 2006 ، موجود على العنوان التالي: www.ijnet.org/Director.aspx?p=Articcle&ID=304931&Prn=Y، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦. انظر أيضاً: Arab Journalists Sure Center Can Change Western Perception، ٢ أيار/مايو ٢٠٠٦، موجود على العنوان التالي: www.bernama.com.my/bernama/v3، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٦) *الحث على مسؤولية القيادة السياسية والثقافية إزاء وسائط الإعلام*

٤٥- كما أثبت رد الفعل الإندونيسي على الرسوم الكاريكاتورية المثيرة للجدل[٤٢]، بإمكان ذوي النوايا الحسنة من زعماء سياسيين وثقافيين اغتنام الفرص التي تتيحها وسائط الإعلام قبل أن تستولي عليها أصوات التطرف. وبصفة فردية ومن خلال بيانات مشتركة، على زعماء الوسطية ألا يتقيدوا إلا بالنزاهة والتحضر في إزالة السخرية والعنف بصفتهما التركيز السائد لوسائط الإعلام. ويمكن أن يقوم التحالف بدور حافز في دعم هذه الجهود عبر تعليقات الرد السريع المشار إليها أعلاه وعبر نشر أمثلة حول استخدام الزعماء للإعلام استخداماً بناء.

البحث ونشر دراسات حالة للاستخدام البناء للمؤسسات الإعلامية من قبل الزعماء السياسيين والثقافيين في أوقات الأزمة

قد يطلب التحالف إعداد سلسلة من الورقات الإعلامية بشأن الاستخدام المسؤول للمؤسسات الإعلامية من قبل الزعماء السياسيين والثقافيين والإعلاميين في أوقات التوتر الشديد والنزاع من أجل تهدئة المشاعر الشعبية والحد من العنف. ويمكن تحليل هذه الدراسات بهدف إقرارها وتعميمها على مستشاري السياسات، ومعاهد التدريب الدبلوماسي، ومدارس التعليم الديني، والجهات المعنية بالسياسة العامة، وعلى زعماء المجتمع المدني بشأن مجموعة من أفضل الممارسات في مجال استخدام وسائط الإعلام من قبل زعماء سياسيين وثقافيين وزعماء المجتمعات المحلية في أوقات الأزمة.[٤٣]

٧) *حشد دعم وشراكة زعماء وسائط الإعلام*

٤٦- من أجل النجاح، ينبغي تناول الجهود الرامية إلى إشراك وسائط الإعلام، بميدانيهما الإخباري والترفيهي، من منظور السعي إلى شراكة مع هذه الوسائط، بدلاً من مجرد الرصد أو السعي إلى مراقبتهما. وبإمكان آليات الرصد الإعلامي التي أنشأتها المفوضية الأوروبية وعدة جامعات أن تقدم دراسات حالة لأفضل الممارسات. وينبغي للتحالف أيضاً أن يستغل الأحداث الشهيرة مثل كأس العالم.

ألف- التأثير في كاتبي السيناريوهات والمنتجين في هوليوود وتحسيسهم بما قد يكون لهم من أثر ودعوتهم إلى دعم مكافحة التطرف

بدأت الجهود فعلاً، بقيادة مدرسة هارفارد للصحة العامة، وإمبراطور الإعلام عمر أمانات، ومعهد الشرق والغرب من أجل البحث في أثر وسائط الإعلام الشعبية في الصورة الذاتية والعنف في العالم الإسلامي، بالاعتماد على أبحاث شبيهة أجريت بشأن التجربة الأفريقية الأمريكية في الستينات والسبعينات. وحُدد أقل من ٢٠٠ منتج وكاتب سيناريو في هوليوود بصفتهم مسؤولين عن معظم الإنتاج التلفزيوني

٤٢ *انظر* المرفق الأول من هذه الورقة، "جدل الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية ودور القيادة الثقافية والسياسية" للإطلاع على وصف موجز للخطوات التي اتخذها زعماء السياسة والدين ووسائط الإعلام للحماية من التهاب المشاعر والعنف في أثناء أزمة الرسوم الكاريكاتورية.

٤٣ توجد أصلاً وبكثرة أمثلة وبعض دراسات الحالة تشمل على سبيل المثال بيانات وإجراءات اتخذت في السويد وإندونيسيا في أثناء أزمة الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية، واستخدام الإذاعة في بوروندي للحد من الهستيريا الجماعية وتفشي حالات العنف خلال الإبادة الجماعية في رواندا، وما إلى ذلك.

والسينمائي في هوليوود. وستجرى المقابلات الفردية فور انتهاء البحث الاجتماعي والصحي. وينبغي للتحالف أن ينظر بجدية في الإشراف على اجتماع مع هؤلاء المهنيين في هوليوود إلى جانب باحثين ومناصري الصحة العامة المعنيين من أجل مناقشة أثر الأفلام والتلفزيون في المواقف والسلوك ودعوتهم إلى المساهمة وتقديم أفكار تبيّن كيف أن تصوير الشخصيات المسلمة العادية في وسائط الإعلام قد يكون له أثر في كل من المجتمعات الإسلامية في غالبيتها وفي بلدان الغرب. وبالإمكان توجيه طلب إلى مشاهير هوليوود العاملين بصفة سفراء للنوايا الحسنة في الأمم المتحدة من أجل المساعدة في عقد هذا الاجتماع وإشهار نتائجه.

باء- حشد دعم مالكي المؤسسات الإعلامية الكبرى

كثيراً ما تصطدم آثار التدريب والتبادل لفائدة العاملين في قطاع الإعلام بكون هؤلاء يعملون في إطار خطوط تحريرية يضعها كبار المحررين والناشرين والمالكين. ومن أجل فعالية حشد دعم وسائط الإعلام، يجب على التحالف أن يصل إلى مالكي ومديري المجموعات الإعلامية (أي بي بي سي، وسي إن إن، وإن بي سي، وفوكس، والجزيرة والعربية)، وأن يقترح على مديري الإعلام ومنظميه أن يقدموا المجال والموارد للعاملين في مجال الإعلام من أجل العمل. وينبغي دعوة منظمة مثل المنتدى العالمي للمحررين ودعوة نظراء لها إقليميين من أجل دراسة مسألة سوء التصوير والتلاعب من منظور المالكين. وينبغي أن يكون من بين المشاركين مشرعون، وقلة من كبار الصحفيين ومجموعة متنوعة من محللي القضايا الدينية، بهدف حشد الدعم لمزيد من الإيجابية في الكتابة عن قضايا الإسلام والغرب وهو الدعم الذي قد يُقدم بدوره إلى مديري الإعلام والعاملين فيه.

٨) تعزيز التعاون في مجال الثقافة الشعبية بين العالم الإسلامي والغرب

٤٧- العمل مع المانحين في القطاعين العام والخاص من أجل إنشاء صندوق لوسائط الإعلام يرمي إلى تحسين العلاقات بين شعوب العالم الإسلامي والغرب. بالإمكان استخدام أي شكل من أشكال الإعلام للتفرقة بين المجتمعات أو الجمع بينها. وقد ثبت في مجموعة متنوعة من الأوساط الثقافية نجاح الجهود الرائدة في استخدام المسلسلات الدرامية والبرامج الحوارية وبرامج الأطفال والبرامج التي يُشارك فيها المشاهدون عبر الهاتف من أجل تغيير المواقف بل حتى السلوك[٤٤]. وينبغي للتحالف أن يدعو إلى عقد ائتلاف للمانحين في القطاعين العام والخاص المهتمين بالإعلام و/أو العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب من أجل إنشاء صندوق محفز لتطوير العلاقات الثقافية في الإعلام. وقد تدعم الأموال المنتجين والمبدعين في

٤٤ بعدما قامت منظمات بدور رائد في ميدان الصحة العامة، من قبيل منظمة خدمات السكان الدولية بصفتها وسيلة لتثقيف السكان بشأن المخاطر الصحية والخطوات المتخذة لتفاديها، تطور ميدان بكامله في مجال "البرامج المحددَة الأهداف" في التسعينات. وتقوم البرامج المحددة الأهداف على مساهمة علماء الاجتماع والناشطين في المجال الاجتماعي من أجل تحديد المواقف والأضرار الكامنة في السلوك المدمر في مجتمع ما (مثل الحقد العنصري أو الإثني)، واقتراح التجارب والدروس التي من شأنها التخفيف من حدة هذه المواقف. بعد ذلك يُشرك كتّاب السيناريوهات والممثلون والمنتجون في وضع برامج شعبية تُدمج هذه الدروس، على سبيل المثال، ضمن سيناريوهات مسلسلات درامية أو برامج تلفزيون الواقع. وقد أثبتت التقييمات التي أجريت لهذه البرامج في مناطق متنوعة مثل البلقان، وأفريقيا جنوب الصحراء، وجنوب شرق آسيا حدوث تحول ملحوظ في المواقف والسلوك في مناطق النزاع. انظر التقييمات التي أجريت لبرامج إعلامية محددة الأهداف في مقدونيا، وإندونيسيا، وبوروندي، وسيراليون على الموقع التالي:
http://www.sfcg.org/sfcg/evaluations/evaluations.html ، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

مجال الإعلام الذين لهم محتوى ثقافي وبرامج ترفيهية تركز على القيم المشتركة ومظاهر الحوار أو التعاون أو مواطن التشابه بين العالم الإسلامي والغرب. ومن خلال تقديم الأموال للبرامج الرائدة، التي يمكن بالتالي عرضها على مسؤولي البث، وتمويلها بالكامل إن كانت ناجحة، قد يكون هذا الصندوق أداة حافزة للبرامج الإعلامية دون الاضطرار إلى الاستثمار في أموال كثيرة ضرورية لمسلسلات أو برامج مبثوثة بكاملها. ويمكن لهذا الصندوق أن يعطي الأولوية لأربعة أنواع من الإنتاج الإعلامي هي:

١) *دعم المنتجين الذين حصلوا على دعم هيئة البث وانضموا إلى شركة أو شاركوا في إنتاج يتجاوز الخطوط الثقافية أو الدينية*. وقد تعطى الأولوية للمنتجات التي تتناول المفاهيم المغلوطة أو القضايا الثقافية الملحة، مثل مسألة الحجاب، والعلمانية، والخط الفاصل بين حرية التعبير وخطاب الحقد وأولئك الذين يستعملون الوسائل الإبداعية والشعبية للوصول إلى أكبر عدد من السكان[٤٥]. ومثالاً على ذلك أعمال شركة أكتيف فويس للإنتاج في سان فرنسيسكو[٤٦]. ذلك أن الشركة تنتج أفلاماً "تفتح العيون والقلوب والعقول بشأن القضايا الاجتماعية الحساسة التي لم تتناولها بعمق وسائط الإعلام"، مثل الهجرة، وعدالة الشباب، ومساعدة الموظفين في مختلف أماكن العمل على نبذ القوالب النمطية الماضية التي تنال من المسلمين في جميع أنحاء العالم. وينبغي أن يكون من باب المعايير الأولية إحداث شراكات مع منتجين محليين ومؤسسات تعنى بالسياق الاجتماعي السياسي للسكان الأصليين.

٢) *تكليف المنتجين بوضع محتوى إعلامي تثقيفي يقدم عبر أشكال ترفيهية ابتكارية وشعبية* تصل إلى فئات عريضة من المجتمع، مثل برامج التحدي الواقعي، وبرامج الألعاب، والمسابقات الشعبية، حيث يقتضي الفوز تعاوناً على مستوى الثقافات. وقد يسعى هذا الصندوق إلى تعديل أشكال شعبية موجودة للمعارض الغربية الشائعة في كل من الغرب والعالم الإسلامي، لكن بمواضيع بناءة وتعليمية أو في مشاريع فريدة قادرة على جذب الجماهير من ثقافات متعددة في آن واحد، لغرض كسب المزيد من الاهتمام لدى مؤسسات البث وشركات الإعلان عبر الحدود. وتزداد أعداد الأمثلة عن هذا النوع من الإنتاج الإعلامي في السنوات الأخيرة. ومن ذلك الابتكار في التواصل بين الثقافات[٤٧]مع تعمد بعث رسائل تعليمية في شكل سهل ومشوق في الاستهلاك، مثل النشرات الصحفية الخاصة[٤٨] وشركات المسرح، والمسلسلات الدرامية الإذاعية والكتب الفكاهية مثل مشروع آسيا أوروبا للفكاهة الذي

---

٤٥ انظر إنترنيوز: برنامج إذاعي أفغاني يرد على جدل الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية. نيسان/أبريل ٢٠٠٦. موجود على الإنترنت على العنوان التالي: www.internews.org/news/2006/200060414_afghan.html، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٤٦ انظر المشروع الإسلامي، بناء الجسور في ١٠ مجتمعات محلية بين المسلمين وغير المسلمين. شركة أكتيف فويس للإنتاج. www.activevoice.net، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٤٧ http://www.comminit.com/strategicthinking/pdsmakingwaves/sld-2593.html أن، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٤٨ انظر Pluralism: Unity beyond diversity" special series, Jakarta Post 2006، موجود على الإنترنت على العنوان التالي: http://www.thejakartapost.com/community/ina1.asp، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

أطلقته مؤسسة آسيا أوروبا ومعهد سنغافورة للفنون العصرية[٤٩]. ويعد التعليم والإعلام أهم وسيلتين عموميتين حاسمتين لإنشاء وتعزيز القيم والمواقف الاجتماعية. ومع الشباب بوجه خاص، من شأن هذه المواد أن تحدث تغييراً في طريقة تشكيل مواقفهم الاجتماعية الأولية؛ أي توسيع آفاقهم لتكون أشمل وأكثر تسامحاً، وتعتنق آراء المجتمع المركب والمتعدد الذي يعيشون فيه. وقد أثبتت المسلسلات الدرامية[٥٠] الإذاعية أنها أدوات ذات فعالية هائلة في التعليم وبناء السلام في بلدان مثل أفغانستان وسيراليون وبوروندي، وتشير البرامج التلفزيونية في البلدان ذات التنوع الثقافي الشديد مثل مقدونيا[٥١] إلى تعطش المواطنين إلى الترفيه. وإذا كان الإنتاج جيداً بما يكفي، فمن شأن هذه المواد الابتكارية التي تتناول المجتمع العالمي ولا سيما مواطن الفراغ في العلاقات بين العالم الإسلامي والغربي أن تنافس وتفوق شعبية الرسائل التقليدية المحمَّلة بالقوالب النمطية. ويمكن استرعاء المزيد من الاهتمام بهذه البرامج إذا كان توقيت بثها وسياقه يتمحوران بشكل استراتيجي حول أحداث كبرى تجذب انتباه الناس على مختلف ثقافاتهم، مثل كأس العالم والألعاب الأولمبية.

'٣' تقديم "صندوق مخاطر" لتليين قوى السوق التي لا تسمح إلا لإعلام الإثارة والقوالب النمطية والمواد الثقافية بالتبادل بين الثقافات. فضغط تغطية التكاليف وكسب الأرباح من التبادلات الثقافية والمنتجات الإعلامية يجعل من المخاطرة بالنسبة للمسارح، والمتاحف، وغيرهم من مراكز العرض الثقافي أخذُ أي شيء غير "الرهانات المضمونة" في التبادلات الثقافية. وبالتالي، تعرف سوق التبادل الثقافي سيطرة المنتجات الثقافية، بما فيها المنتجات الإعلامية المتاجرة في "الأشكال المضمونة" للقوالب النمطية المعيارية. ويتحفظ العديد من العارضين عن تقديم عمل ضخم قامت به شركات أجنبية خشية تكبد خسائر في شباك التذاكر. لذا من شأن صندوق مخاطر أو صندوق احتياطي قادر على تأمين مقدمي المنتجات ضد خسائر كبرى أن يحفز جهات فاعلة إضافية على المغامرة في هذا الميدان. ويمكن لهذا الصندوق أن يُدار من قبل منظمة وسيطة، أو مؤسسة ثقافية لها سجل بارز في هذا المضمار. وربما كان هذا الصندوق وسيلة قد تمكن فيلماً هاماً منتجاً في بلد إسلامي من النجاح في البقاء معروضاً على الشاشات الأمريكية لبضع أسابيع ضرورية لحشد الدعم عبر الإشاعة الشفوية فيصبح الفيلم بذلك مستداماً بل حتى مربحاً. وعلى غرار ذلك، من شأن هذا الصندوق أيضاً أن يتيح المجال أمام المنتجات الأقل إثارة والأكثر فناً المنتجة في الغرب للتجول أكثر عبر البلدان الإسلامية في غالبيتها. ومن شأن هذا الصندوق أن يساعد في زيادة التعرض للصور الإيجابية والأصلية والمتنوعة المكونة عن "الآخرين".

---

٤٩ انظر Project Summary: Asia_Europe Comics Project، موجود على الإنترنت على العنوان التالي: www.asef.org/project.asp?projcode=406&deptcode=4، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٥٠- http://www.comminit.com/evaluations/idmay15/sld-2299.html، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦

٥١ انظر: Nashe Malo, Final evaluation. Search for Common Ground, Washington, 2001، موجود على الإنترنت على العنوان التالي: http://pdf.dec.org/pdf_docs/Pdacd357.pdf، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

'٤' دعم المنتجات الإعلامية التي تكافح القوالب النمطية السائدة. وذلك أمر مهم للغاية بالنسبة للشباب المسلم غير المعتاد على رؤية نماذج لأدوار قد يرتبطون بها في وسائط إعلام معولمة ينتجها الغرب. فعلى سبيل المثال، تبذل جهود حالياً من أجل إنتاج ألعاب فيديو تقدم أبطالاً مسلمين[٥٢] إضافة إلى رسوم كاريكاتورية تقدم أطفالاً مسلمين[٥٣]، مختلفين عن شخصيات غير مسلمة من الغرب ويكون الحوار باللغات المحلية للبلدان التي سكانها من المسلمين.

٩) دعم الاستراتيجيات الإعلامية الجديدة والجهود الرامية إلى زيادة الوعي بوسائط الإعلام

٤٨- تشكل الإنترنت ووسائل الإنتاج والنشر الإعلامي الرقمي فرصة لا سابق لها تتاح للمواطنين في جميع أنحاء العالم للتواصل فيما بينهم. وإذا كانت درجة النفاذ إلى الإنترنت تتباين بشكل كبير حسب الفئة الاجتماعية الاقتصادية، فإن النفاذ إلى الإنترنت يتزايد بشكل سريع في العديد من البلدان النامية، بما فيها العالم الإسلامي[٥٤]. وكما هو الشأن في أي أداة إعلامية قوية، قد تستخدم الإنترنت بل إنها تستخدم بشكل يؤجج التفرقة ويعزز القوالب النمطية عبر الثقافات من جهة، وتُستخدم بطرق تبدد مواطن الاختلاف وتعزز التفاهم بين الثقافات من جهة أخرى. لذا ينبغي للتحالف أن يستفيد ما أمكن من استراتيجيات ومبادرات "وسائط الإعلام الجديدة" وأن يدعم تمويلها وتوسعها بعد أن أثبتت نجاحها في بناء التفاهم بين الثقافات وفي بناء وعي وسائط الإعلام في أوساط مستهلكي الإعلام، لا سيما الشباب. وبإمكان التحالف القيام بذلك باتخاذ الإجراءات التالية:

ألف- <u>الترويج عبر موقع التحالف على شبكة الإنترنت لوصلات إلكترونية فعالة للغاية في تعزيز الحوار المستدام بين الثقافات وتقديم هذه الوصلات وإتاحتها</u>

بينما تتكاثر غرف الدردشة غير الميسرة ومنتديات الحوار على شبكة الإنترنت، ينبغي إبراز وتوسيع الحوار عبر الإنترنت الذي يربط بين الناس عبر الثقافات بشكل أعمق (أي في أماكن ميسرة، ومستدامة عبر الزمن، و/أو ذات صفة رسمية من خلال مراكز شبابية أو أوساط جامعية). وبإمكان التحالف أن يدعم بوابة دولية أكبر للتواصل بين الثقافات على منوال موقع القنطرة[٥٥] الذي تدعمه الحكومة الألمانية أو موقع إسلام أون لاين الذي تشرف عليه مصر. وينبغي لشكل الموقع ومضمونه أن يتوجها إلى شبان واعين اجتماعياً وبالغين متواجدين في البلدان الإسلامية بغالبيتها وفي الغرب. وبالإمكان أن يتضمن الموقع تفسيرا صريحاً لمواطن الاختلاف والتشابه في الثقافات، وتقارير إخبارية موثوقة، ومنتديات قضايا الساعة ومنتديات تفاعلية للمناقشة الميسرة، ووصلات لمواقع رائدة في الحوار الثقافي، وخطوط دردشة، والبث

---

٥٢ ورد في ١٣ أيار/مايو ٢٠٠٦ في اجتماع لتحالف الحضارات بمقر البعثة الدائمة لقطر لدى الأمم المتحدة أن مراسل الجزيرة ومقدم الأخبار البارز في سي إن إن سابقاً ريز خان أطلق شركة لألعاب الفيديو هدفها الوحيد إنتاج ألعاب أبطالها مسلمون إضافة إلى مواد تعليمية عن المسلمين والبلدان المسلمة حيث تدرج ضمن الألعاب –أي تدرج الدروس المستفادة ضمن استراتيجية للعب بدلا من الأشكال المتعارف عليها للمناهج التعليمية.

٥٣ بدأت شركات إنتاج متعددة في الشرق الأوسط في إعداد سلسلة من الرسوم الكاريكاتورية مثل "بين وعزي" و"يالا فانوس" بنية تقديم شخصيات أصلية في البلدان التي ستبث فيها السلسلة لجلب المشاهدين من الشباب المسلم وتعزيز احترامهم لذاتهم.

٥٤ انظر ورقة عمل عن مبادرة الإعلام العربي في المنتدى الاقتصادي العالمي، قُدمت في ٣ أيار/مايو ٢٠٠٥ في مصر.

٥٥ انظر www.Qantara.de، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

الإذاعي على الإنترنت، ووصلات لمواد إعلامية تعليمية مثل البرامج الوثائقية التي يمولها الاتحاد الأوروبي وينشرها على الإنترنت في موقع توغيذر تي في[٥٦]. وبالإمكان الاتصال بمنتجي وواضعي البرامج التكنولوجية من أجل دعم هذا الموقع.

باء- دعم المبادرات التي تضع وسائل الإنتاج والتوزيع الإعلامي مباشرة في أيدي المواطنين العاديين – لا سيما الشباب

تشكل المبادرات من قبيل Global Nomads Group (التي تقدم كاميرات رقمية ودورات تدريبية للشباب في البلدان النامية من أجل إنتاج برامجهم الوثائقية)، ومبادرة Witness (التي تقدم كاميرات رقمية ودورات تدريبية للمواطنين من أجل تسجيل انتهاكات حقوق الإنسان والإبلاغ بشأنها)، وسائل تمكن المواطنين العاديين من إسماع أصواتهم، لا سيما عبر مواقع الإنترنت من قبيل www.MySpace.com أو موقع القنطرة المشار إليه أعلاه. وعلاوة على ذلك، أعربت شبكة أم تي في (MTV) عن اهتمامها ببث لقطات مصورة قصيرة لشباب من جميع أنحاء العالم يخبرون فيها قصصهم. وينبغي لتحالف الحضارات أن ينظر إلى هذه الفرص المتاحة على أنها تتيح فرصة التواصل المباشر بين السكان في الغرب والعالم الإسلامي وتشكل منصة للشباب بوجه خاص من أجل الإعراب عن وجهات نظرهم وآرائهم.

جيم- إنشاء كراسي أكاديمية للأمم المتحدة في مجالي الإعلام والمجتمع في الجامعات الكبرى: قد تسند إلى هذه الكراسي مهمة وضع دروس تعزز الوعي الإعلامي النقدي فيما بين مستهلكي الإعلام، ومواصلة البحث في أثر وسائط الإعلام بشأن المواقف والسلوك، والمساهمة في إنشاء آلية لرصد الإعلام على نحو ما أشير إليه أعلاه، والبحث وجمع أفضل الممارسات بشأن استخدام الإعلام الجديد، لا سيما الإنترنت، من أجل تعزيز التفاهم والتواصل بين الثقافات وتقديم نقاط اتصال لعقد شبكات الإعلام والمؤتمرات.

٥٦ انظر "togetherTV breaks the mould to boost coverage....."، موجود على الإنترنت على العنوان التالي: www.togetherTV.org، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

المرفق الأول: جدل الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية ودور القيادة السياسية والثقافية

كشف حادث الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية في الفترة ٢٠٠٥-٢٠٠٦ عن أبعاد عديدة[٥٧] لسوء التفاهم السائد بين الإسلام والغرب، لكنه أبان في جوهره عن عدم مراعاة صحفية وجهل شعبي واستغلال تجاري وسياسي، لا سيما في أوروبا والشرق الأوسط.

إن الرسوم الكاريكاتورية التي نشرتها الصحيفة الدانمركية جايلاندز بوستن (Jyllands-Posten) التي تشبّه فيها النبي محمد بالإرهاب، من باب الدفاع عن حرية التعبير حيث لم يكن هناك تهديد للحرية العلمانية، أمر استفزازي لا مبرر له، ولا يقوم على مبدأ. وإلى جانب جهل وسائل الإعلام والجمهور بمدى شدة الإساءة إلى المسلمين، جاء رفض الزعماء السياسيين الدانمركيين للحوار مع القادة المسلمين المستائين، ليتماشى مع مشاعر كراهية الأجانب السائدة في أوروبا ويواجهَ المسلمين بصورة دانمرك كارهة للمسلمين رسمياً.

وكانت إعادة طبع الرسوم في وسائط إعلام أوروبية أخرى (لا أحد في المملكة المتحدة، وقليل جداً في أمريكا الشمالية) بمثابة تضامن متهور مع حريات الإعلام في بعض الحالات، وخنوعاً دنيئاً لإغراء رفع عدد المطبوعات في حالات أخرى. وعلاوة على ذلك، جاءت لغة التشدد على لسان مسلمين محتجين في لندن بعناوين بارزة في الصحف مما عزز القوالب النمطية. ولجأ بعض القادة المسلمين الدانمركيين المتعطشين للهيبة إلى شن حملات في الشرق الأوسط مما أثار ردود فعل عاطفية ضد التطرف الغربي حسب ما ورد، والذي اشتد بنشر رسوم كاريكاتورية أخرى أكثر استفزازاً. وركزت وسائط الإعلام العربي على الجانب المتعلق بكراهية الأجانب في صورة الدانمرك وقدمت صورة مغلوطة عن المسلمين بوصفهم مقموعين هناك. وقليلون هم القادة المسلمون والعرب الذين وازنوا فعلاً بين الانشقاق دفاعاً عن عقيدتهم وقيود الردود العنيفة، التي كان بعضها ذا أهداف سياسية، مما أدى إلى حرق بعض السفارات الأجنبية وزيادة إلهاب القوالب النمطية الغربية التي تصم العرب والثقافة الإسلامية.

---

٥٧ *انظر* Powers, Shaun&Arsenaault, Amelia: The Danish Cartoon Crisis: USCC Center on Public Diplomacy, USC Annenberg School of Communications, April 5, 2006.
انظر أيضا Nassief, Hawazen: Time to Heal, Khaleej Times, April 10, 2006.
انظر أيضا Nawar, Ibrahim: Media Freedom and Dialogue, Arab Press Freedom Watch, February 2006. موجود على العنوان التالي: www.apfh.org/print.asp?fname=articles\english\2006\02\are1029.htm، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦
انظر أيضا Shapiro, John: Muslims and the West: A culture war? February 14, 2006، موجود على العنوان التالي: http://cmcu.georgetown.edu/publications/Muslims_And_The_West_A_Culture_War.pdf، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦
انظر أيضا Nimah, Hasan Abu: Realizing the danger and reconsidering. Washington Report Middle East موجود على العنوان التالي: http://www.thejakartapost.com/community/ina1.asp، اطلع عليه في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.
انظر أيضا Villate-Compton, Pascale: Media Freedom and dialogue between cultures, Arab Press Freedom watch, 2006. موجود على العنوان التالي: http://www.apfw.org/data/annualconference/2006/english/papers/PascaleVillateCompton.pdf، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.
انظر أيضا Armstrong, Karen: We can defuse this tension…., The Guardian, March 11, 2006.

وتعرضت قيم التسامح والحوار والتعددية إلى هجوم شنيع من جميع الاتجاهات.

وتؤكد أزمة الرسوم الكاريكاتورية الدانمركية الحاجة إلى الاستجابة لتأثير وسائط الإعلام التي تحترم حرية التعبير والقيم الثقافية وتيسّر الحوار والتفاهم عندما يلتقي المبدءان.

إن أول شرط أساسي هو وجود قيادة سياسية وثقافية تعترف بوسائط الإعلام بصفتها أول قاعدة أو منصة تتم القيادة انطلاقاً منها. وبإمكان واضعي السياسات ذوي النوايا الحسنة أن يضعوا خطة لوسائط الإعلام، لا أن يتدخلوا في حرية الإعلام بل أن يوضحوا قضية ما[٥٨]. وعلى نحو ما أشار إليه اسماعيل سراج الدين المدير العام لمكتبة الإسكندرية، ليس التشريع هو الضروري وإنما "تعزيز الوعي الاجتماعي الذي يحدد المعايير للسلوك المقبول... فلو كانت الأغلبية الساحقة في المجتمع الغربي، بمن في ذلك قادته السياسيون، قد أدانت الرسوم الكاريكاتورية دونما حاجة إلى الحد من حق الصحيفة في نشرها، لكان ذلك شوطاً بعيداً في تضميد جراح الماضي وتعزيز الثقة الضرورية لنـزع فتيل هذه القضية"[٥٩].

ولقد كان هذا النوع من القيادة الشهيرة هو بالضبط ما خفف من حدة التوتر بشأن حادث الرسوم الكاريكاتورية في إندونيسيا. ذلك أن الرئيس يودويونو خرج مبكراً لإدانة الرسوم الكاريكاتورية لكنه سلّط الضوء على الأسف الذي أعربت عنه الدانمرك. وأيدته في ذلك طائفة من الزعماء الدينيين البارزين في إندونيسيا الذين أدانوا أيضاً الرسوم، مع الإشارة إلى أن القضية "ليست قضية الغرب ضد الإسلام وإنما هي قضية صحافة متهورة". فلم تتسع رقعة العنف رداً على الرسوم في إندونيسيا التي تعتبر أكثر البلدان الإسلامية كثافة في العالم.[٦٠]

وعلى غرار ذلك، وعقب هجمات لندن في ٢٠٠٥، اندلعت أحداث إجرامية بدافع الحقد تتزايد ضد أفراد المجتمع المسلم هناك. "وهنا جاء دور القيادة السياسية إذ اتخذت حكومة المملكة المتحدة، والشرطة، وقادة المجتمعات المحلية والمنظمات الإسلامية موافق قوية في إدانة هذه الهجمات بوصفها أعمالاً يقوم بها أفراد ضالون. وعارضوا بشدة أيضاً أعمال الانتقام التي طالت المجتمع الإسلامي عموماً. ونتيجة لذلك، سرعان ما عاد مستوى الحوادث إلى مستوياته السابقة... وعموماً انتهجت وسائط الإعلام نهج القادة السياسيين وساقت الأحداث بشكل متوازن ومسؤول،" حسب ما أورده بيتي وينكلر، مدير مركز رصد العنصرية وكراهية الأجانب التابع للاتحاد الأوروبي[٦١].

---

٥٨ انظر Winkler, Beate: Remarks: How could policy makers ensure more informed. European Monitoring Centre on Racism and Xenophobia. Vienna, April 19,2006، موجود على العنوان التالي: www.eumc.eu.int، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٥٩ إسماعيل سراج الدين، المدير العام لمكتبة الاسكندرية، مصر. ٢٠-٢٦ نيسان/أبريل ٢٠٠٦. موجود على العنوان التالي: : weekly.ahram.org.eg/2006/791/op2.htm، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

٦٠ Bayuni, Endy; Editor, Jakarta Post. Interview by Mark Taylor, April 28, 2006.

٦١ http://eumc.eu.int/eumc/index.php?fuseaction=content.dsp_cat_content&catid=2، اطلع عليه في ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦.

المرفق الثاني: التبادلات الثقافية والفنية بين الغرب والبلدان الإسلامية في غالبيتها[٦٢]

ورقة عمل: اجتماع تحالف الحضارات التابع للأمم المتحدة الذي عقد في ١٣ أيار/مايو

أولاً- مقدمة

تبين هذه الورقة القضايا الرئيسية المعنية بدعم التبادل الثقافي بين الغرب –الولايات المتحدة وأوروبا- والبلدان الإسلامية بغالبيتها. وتستعرض الورقة السياق الحالي وبعض الاعتبارات الشاملة المعنية بتعزيز التبادل الفعال. كما تقترح أيضاً استراتيجيات من شأنها أن تحسن من آفاق التبادل. وليست هذه الورقة عرضاً نهائياً يتناول الموضوع الواسع والمعقد للتبادل الثقافي الدولي، وإنما هي ورقة إعلامية تحدد بعضاً من أكثر القضايا إلحاحاً والفرص البارزة في هذا الميدان الشاسع وتوضح بعض الخيارات الاستراتيجية على التحالف أن يعمل بها في معرض نظره بشأن مدى التوصية وطبيعة هذه التوصية في ميدان التبادلات الثقافية. وتسلط الضوء أيضاً على بعض من أكثر القضايا إلحاحاً والفرص البارزة وتثير تساؤلات تتطلب المزيد من المناقشة. وفي هذه الإحاطة، يُستخدم مصطلح "تبادل ثقافي" لتغطية طائفة من الأنشطة التي تشمل بشكل واسع حركة الفنانين، والعاملين في قطاع الفن، والمعارض ما بين أوروبا و/أو الولايات المتحدة والعالم الإسلامي[٦٣].

ثانياً- السياق

ألف- العولمة وثقافة "البوب"

إن التطورات السريعة التي طرأت في ميدان التكنولوجيا على مدى السنوات العشرين الماضية قد سهّلت عملية التواصل بين الناس والمعلومات عبر الحدود الجغرافية والثقافية بوتيرة لم تخطر على بال من قبل. ذلك أن من المهاجرين إلى أوروبا والولايات المتحدة يشكلون نسبة متزايدة من السكان في تلك المناطق، وقد اختلطت تقاليدهم وثقافاتهم بالثقافتين الأوروبية والأمريكية الهجينتين لتفرز ثقافة فريدة متميزة عن كل من البلد الأصلي لهؤلاء السكان وعن ثقافة البلد الجديد الذي اتخذوه موطناً لهم. وفي الآن ذاته، أتاحت السوق العالمية السلع الثقافية للبيع في جميع أنحاء العالم، وتلك حالة شجعتها الشركات التجارية الثقافية الغربية واستفادت منها. ونتيجة لذلك، اختلط الناس وتواصلوا فيما بينهم وترابطوا في حين أصبحوا بعيدين عن أوطانهم وثقافاتهم الأصلية.

---

٦٢ هذه الورقة من طلب وإعداد أمانة تحالف الحضارات، بمساهمات أولية من شركة AEA الاستشارية. وقد أُخذت أقسام الورقة التي تركز على الولايات المتحدة من استعراض تعاقدت بشأنه مؤسسة دوريس ديوك الخيرية مع شركة AEA الاستشارية كجزء من تخطيط المؤسسة لبرامجها المقبلة في مجال التبادل الثقافي. أما الأقسام المتعلقة بأوروبا فقد طلبت إعدادها أمانة التحالف إلى شركة AEA الاستشارية في إطار التحضير لاجتماعها بشأن الشباب ووسائط الإعلام الذي عقد في ١٣ أيار/مايو ٢٠٠٦ في بعثة قطر لدى الأمم المتحدة.

٦٣ يستخدم مصطلح "العالم الإسلامي" بحذر، على أساس أن هناك ما لا يقل عن ٦٠ بلداً غالبية سكانها من المسلمين، وتشمل ما بين ١,٢ و١,٥ بليون نسمة. لا شيء أوسع من ذلك يمكن عده "عالما واحدا"، وهذه الأمم وثقافاتها لا متناهية في التنوع. وعلى غرار ذلك، يستخدم مصطلحا "أوروبا" و"الغرب" من باب الملاءمة فقط علما أنهما يتضمنان طائفة واسعة من الثقافات والتجارب المتنوعة، منها ثقافات وتجارب الأوروبيين والأمريكيين المسلمين.

في النظام الحالي، تطغى السوق على تبادل السلع والخدمات الثقافية، فكان من ذلك أن مزايا العيش في "القرية الكوكبية" ومساوئه لا تنال جميع المشاركين بالتساوي. ففي نظام التبادل الثقافي القائم على السوق، تميل أغنى البلدان أن تكون المستفيد الأكبر بينما كثيراً ما تكون أفقر البلدان الخاسر الأكبر. وبالإضافة إلى ذلك يحصر نظام التبادل الثقافي القائم على السوق انتشار الأشكال الثقافية في الأشكال المربحة للقطاع الخاص، وليس بالضرورة الأشكال الممثلة لأفضل وأهم جوانب الثقافة المفروض أن تمثلها.

على سبيل المثال، كثيراً ما يعزز محتوى صادرات ثقافة البوب الأمريكية الصورَ السلبية التي يكونها الآخرون عن المجتمع الأمريكي بوصفه مجتمعاً سطحياً جاهلاً مهووسا جنسياً وجشعاً. وعلاوة على ذلك، ليست الصورة بأحسن عندما يتعلق الأمر بصورة الثقافات الأخرى وفئات الأقليات التي تكونها أشكال ثقافة البوب الأمريكية الأشهر دولياً (أي الأفلام، والتلفزيون، وموسيقى الراب ''gangster rap'' وما إلى ذلك). فقد تكون هذه التدفقات الثقافية أقدر على إلهاب الاختلاف والاستقطاب الثقافيين من التهدئة. غير أن أشد الناس انزعاجا من هذا الاتجاه في كثير من الأحيان هم الناس أنفسهم الذين ينعشون هذه السوق بإقبالهم النهم على استهلاك المنتوجات الشعبية من أفلام أمريكية وبرامج تلفزيونية وموسيقى وثقافة الهيب هوب، من بين أمور أخرى.

باء- حالة دعم التبادلات

١- الولايات المتحدة

في الولايات المتحدة، كان التمويل الاتحادي للتبادلات الثقافية الدولية في الأصل جزءاً من برنامج حرب باردة يرمى إلى إبراز مزايا الديمقراطية من خلال عرض مختلف المنتجات الفنية لمجتمع حر. وعبر الوكالة الإعلامية للولايات المتحدة، دعم هذا التمويل في الغالب فنانين من الولايات المتحدة يسافرون إلى الخارج، مما أدى إلى "اختلال التجارة الثقافية". ومنذ الثمانينات، حلت كيانات خاصة محل المصادر المتدهورة للتمويل الاتحادي، وتعرضت برامج الوكالة الإعلامية للولايات المتحدة إلى خفض كبير وأدمجت ضمن وزارة الخارجية في ١٩٩٩. غير أنه حتى مع ازدياد التمويل الخاص في هذا الميدان، تظل التبادلات الفنية الدولية قليلة الموارد إلى حد كبير، لا سيما بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، والشرق الأوسط تحديداً. ذلك أن ٦,٥ في المائة فقط من إجمالي تمويل المؤسسة تخصص للتبادلات الفنية الدولية وكان الشرق الأوسط المنطقة الجغرافية التي عرفت أقل التبادلات الممولة من الولايات المتحدة بنسبة ٦ في المائة من إجمالي منح التبادل الثقافي الدولي (وكانت أوروبا أول هذه المناطق بنسبة ٣٠ في المائة)[٦٤].

في الولايات المتحدة، ساد تمويل إنتاج الأعمال وعرضها ساحة المنح الفنية الدولية، بينما ظل دعم إقامة الفنانين الممدة، ووضع الأعمال في سياقها، والجولات الفنية دعماً محدوداً.[٦٥] ويصدق هذا النمط على كل من الفنانين الأمريكيين الذاهبين إلى الخارج والفنانين الأجانب

٦٤ Renz, Loren et. al. International Grantmaking III. The Foundation Center. 2004.

٦٥ DeNatale, Douglas et. al. Developing an Effective System for the Commissioning and Touring of International Work. New England Foundation for the Arts.

القادمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ونتيجة لذلك، لا تُعرض الأعمال الفنية الدولية، فور وصولها إلى الولايات المتحدة، في أكثر من قاعة أو قاعتين، وبالتالي تفوت فرصة العرض أمام جمهور محتمل أكبر بكثير، ويواجه الفنانون الأمريكيون الذين يسافرون إلى الخارج عقبات في عرض أعمالهم في مسارح متعددة و/أو في بلدان متعددة.

٢- أوروبا

حالة أوروبا أصعب في الإيجاز لأسباب واضحة. فلكل دولة من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي سياسات وممارسات مختلفة فيما يتعلق بالتبادلات الدولية، التي تتأثر أيضا بمجموعة كبيرة من الاختلافات القائمة بينها، بما فيها اختلافات في مجتمعات المهاجرين التي تقدم الروابط والدعم بدرجات متفاوتة على مستوى القطاع الخاص للتبادل الثقافي مع بلدان المنشأ أو بلدان أجدادهم. وبعض البلدان الأوروبية يستثمر أكثر من الولايات المتحدة في شبكات المعلومات، وعقد المؤتمرات، والأسواق الثقافية وغير ذلك من الآليات التي تشجع التبادل الثقافي الدولي. فألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة وهولندا تقدم الدعم لهذه الآليات، حيث يقدم، من ناحية، من قبل مكاتب ثقافية شبه دبلوماسية مثل معهد غوته، والتحالف الفرنسي، والمعهد البريطاني، غير أنه ينبغي الإشارة إلى أن المهام الأولية لهذه المؤسسات، شأنها شأن الوكالة الإعلامية للولايات المتحدة، هي نشر الثقافة الوطنية لكل بلد في الخارج، لا النهوض بالتعلم والتبادل، وإن كانت جميعها تفعل ذلك بدرجات متفاوتة عبر أنشطتها.

وعلى الصعيد الإقليمي، وبينما اتخذت قرارات في الاتحاد الأوروبي لدعم المبادرات الثقافية الأوروبية منذ السبعينات، فإن الاتحاد الأوروبي لم يبدأ رسمياً في التعامل مع الثقافة بموجب معاهدة ماستريخت سوى في ١٩٩١؛ وإن كان ذلك يركز على التبادل داخل أوروبا وعلى حفظ التراث الثقافي. وشكل برنامج الشراكة بين أوروبا ومنطقة البحر الأبيض المتوسط الذي بدأ في ١٩٩٥ انفتاحاً في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي وشركاء جنوب البحر الأبيض المتوسط، مع جعل أحد الأهداف الرئيسية الثلاثة للشراكة يتعلق بتعزيز التفاهم والتبادل بين الثقافات. وفي الفصل الاجتماعي والثقافي والإنساني من إعلان برشلونة، دعا الإعلان من ناحية إلى "التقارب بين الشعوب عبر الشراكة الاجتماعية والثقافية والإنسانية الرامية إلى تشجيع التفاهم بين الثقافات والتبادلات بين المجتمعات المدنية"[٦٦]. وربما كان إنشاء مؤسسة أنا ليند لأوروبا والبحر الأبيض المتوسط في مصر أولَ مظهر مؤسسي لهذه السياسة الأوروبية الإقليمية الرامية إلى تعزيز التبادلات بين الثقافات، وإن كانت هذه المؤسسة حديثة العهد لتقييم أثرها وتتبع أدائها.

وتواجه أوروبا مشكلة شبيهة بمشكلة الولايات المتحدة، لمجرد تركيبة الدول الأعضاء فيها. فالأغلبية الساحقة من المبادرات المتخذة داخل حدود الاتحاد ما تزال تنظم على صعيد ثنائي لا إقليمي مما يجعل أن قلة من المبادرات الثقافية هي التي تسمح بجولات فنية وثقافية تتجاوز بلداً واحداً في أوروبا أو عكس ذلك في المناطق الإسلامية في غالبيتها.

٦٦ بلدان البحر الأبيض المتوسط الشريكة هي: الأردن، وإسرائيل، والجزائر، وتركيا، وتونس، والسلطة الفلسطينية، وسوريا، ولبنان، ومصر، والمغرب.

ورغم عدم وجود أي هيئة مركزية على صعيد السياسة الوطنية في الولايات المتحدة مكرسة لدعم التبادلات الثقافية الدولية، ووجود نهج إقليمي حديث العهد نسبياً إزاء هذه القضية في أوروبا (حيث تبدي كل دولة عضو مجموعة متنوعة من مستويات الالتزام بالتبادلات الثقافية مع العالم الإسلامي)، فإن فرص التبادل الثقافي الواسع آخذة في التجلي ويمكن اغتنامها. فقد أعلنت المفوضية الأوروبية عام ٢٠٠٨ سنة أوروبية للحوار بين الثقافات، مما يشكل سياقاً يمكن تعزيز التبادلات فيه. ومن بين أهداف السنة "تأكيد مساهمة مختلف الثقافات في تراثنا ونمط عيشنا، وزيادة وعي المواطنين الأوروبيين وجميع الأشخاص المقيمين بالاتحاد الأوروبي، لا سيما الشباب، بأهمية استكشاف الوسائل التي ينبغي استخدامها من أجل إيجاد مواطنة أوروبية إيجابية، من خلال الحوار بين الثقافات، مع الانفتاح على العالم، واحترام التنوع الثقافي واستناداً إلى القيم المشتركة في الاتحاد الأوروبي".

وتشكل الأحداث التي ستدعمها السنة الأوروبية للحوار بين الثقافات ميدانا طبيعيا لمساهمة الفنانين المسلمين الأوروبيين، إضافة إلى كونها فرصة للاعتراف والاحتفال بالمساهمات الثقافية التاريخية التي قدمها العالم الإسلامي إلى أوروبا.

٣- البلدان الإسلامية في غالبيتها

يعد التعميم في البلدان الإسلامية أصعب مما هو في أوروبا نظراً لسعة "العالم الإسلامي" الجغرافية والثقافية. ومع ذلك، فالحال أنه في العديد من البلدان الإسلامية في غالبيتها، بما فيها معظم بلدان الشرق الأوسط، تعد الهياكل الأساسية العامة للتبادل الثقافي ضعيفة أو معدمة وثمة عدد قليل جداً من المعاهد الخاصة خارج الأفراد ذوي الأعمال الخيرية، مما يجعل من الصعب على المؤسسات والمنظمات الثقافية في الولايات المتحدة وأوروبا تحديد شركاء لها موثوقين في الميدان من أجل العمل على الصعيد العالمي. أما المؤسسات الأمريكية العاملة في البلدان الإسلامية، مثل مؤسسة فورد وصندوق كريستنسن، فتعمل مع خبراء محليين مطلعين على الفنون والثقافة في المنطقة. وإيجاد هؤلاء الناس وتطوير علاقات عمل فعالة معهم مهمة تقتضي بدورها قدراً كبيراً من المعرفة والوقت والموارد. وتزداد حدة هذه المشاكل اللوجستية بازدياد التنوع في الأشكال الفنية، واللغات، ووسائط الإعلام والجماهير في جميع أنحاء العالم. ومن الصعب على المنظمات المهتمة بالفنون أن تكيّف أشكالاً فنية وتنتجها وتُشهرها وهي أشكال غير مألوفة تماماً وتقتضي في كثير من الأحيان ميادين وأشكال عرض بديلة، وتعليماً عالياً ودقيقاً لدى الجمهور. فقد أدت هذه التحديات إلى نشوء حالة لم تعد فيها سوى مجموعة صغيرة نسبياً من المنظمات الفنية والجهات المانحة والمؤسسات الأكاديمية تتمتع بالخبرة والوقت والمبادرة للقيام بالبحث وبناء القاعدة اللازمة لدعم التبادلات الدولية طويلة الأجل.

وعلاوة على ذلك، في تلك الحالات التي أرسيت فيها العلاقات (من قبل مؤسسات الولايات المتحدة أو المعاهد الثقافية الأوروبية المذكورة أعلاه)، كثيراً ما يقتضي الوصول إلى هذه الشبكات اتصالات مهنية أو وساطات، توجد أساساً للفنانين والمجموعات الفنية التي لها أصلاً تجربة وسمعة كبيرة دولياً. ويجد العديد من الفنانين صعوبة في الاطلاع على فرص التبادل والتواصل على الصعيد الدولي واغتنام معظم الإمكانيات المتوفرة.

وإضافة إلى ذلك، يعد موقف بعض الحكومات وفئات محافظة أشد في صفوف السكان في بعض البلدان الإسلامية في غالبيتها أمراً مثبطاً، لكل من الثقافة الواردة من الغرب، وللعديد من المظاهر الثقافية التي تنتَج داخل مجتمعاتها. ذلك أن العناصر المتطرفة في العديد من المجتمعات الإسلامية، بمن فيهم بعض الجماعات المسلمة المهاجرة في الغرب، ترى في تدفق الثقافة الغربية خطراً على القيم الإسلامية. فكثيراً ما ترى أكثر المجتمعات الإسلامية المحافظة التعبيرَ الفني بصفته منظراً هداماً للنـزعة الفردية يعادل التمرد السياسي (والديني بالقياس). فخيارات الفنانين في هذه المجتمعات محدودة: فإما بإمكانهم تحاشي الشهرة والاهتمام بشكل إجمالي أو يمتثلون لمقاييس التعبير التي وضعتها حكوماتهم أو أقوى الأصوات المحافظة في مجتمعاتهم، مما يضيّق حتماً على أصواتهم الفنية في هذه العملية.

وفي ضوء مواطن القصور هذه في مجال دعم ونشر الأشكال الثقافية من داخل العالم الإسلامي، يجد العديد من المراكز الغربية للتبادل الثقافي صعوبة في إشراك مجموعة أوسع من الأصوات الثقافية والفنية المسلمة. فقد عبّر معهد غوته، على سبيل المثال، عن رأيه بشأن ضرورة تحمل البلدان المسلمة لمسؤوليتها في الاحتفاء بثقافتها، وترجمتها ونشرها لكنه أعرب أنه شريك مستعد للمساهمة في هذا الجهد. وكون هذه الإشارة تأتي في صدارة البيان دليل على المشاكل الكثيرة في العديد من البلدان الإسلامية عندما يتعلق الأمر بالتجليات والتبادلات الثقافية والفنية.

ثالثاً- التحديات والعقبات

إن غياب المعلومات ومصطلحات تعريفية وندرة المنظمات الوسيطة الفعالة، والعقبات اللغوية، والقيود السياسية تشكل تحديات لوجستية بارزة أمام أولئك الذين يسعون إلى توسيع التبادل الثقافي بين الغرب والعالم الإسلامي.

ألف- قلة المعلومات - ليس هناك مصدر مركزي للمعلومات أو الموارد للتبادل الثقافي الدولي، لا بين الولايات المتحدة أو أوروبا والعالمي الإسلامي، ولا بين الغرب والعالم الإسلامي بشكل أعم، فما بالك على الصعيد العالمي بين جميع الثقافات والمناطق. ويبين استعراض موجز لمصادر المبادرات الثقافية الأوروبية أن هناك بعض المصادر الفريدة والمتاحة نوعاً ما للحصول على المعلومات، وقواعد بيانات بشأن التبادلات والأحداث الثقافية، ومصادر تمويل، ومؤسسات مشاركة رائدة، وما إلى ذلك، غير أن معظم هذه المصادر مخصص للمبادرات الثقافية داخل البلدان الأوروبية.

ورغم أن إنشاء وكالة رسمية للتبادل الثقافي الدولي في الولايات المتحدة، أو وكالة إقليمية في أوروبا، أمر غير وارد (وربما غير مرغوب فيه)، يجب وضع آليات لتشجيع الفنانين والمنظمات الثقافية على دخول الميدان الدولي، وتوجيه عملهم، وتيسير أنشطة التبادل إذا أُريد للتبادل الثقافي الدولي أن يطبق إمكاناته. ليس هناك أي نقص في الممثلين، والموسيقيين، والفنانين المهتمين الساعين إلى المشاركة دولياً وعلى مستوى الثقافات، غير أن القليل جداً منهم -ومعظمهم من النخبة- يعرفون كيف يفعلون ذلك. ونتيجة لذلك، فإن معظم التبادل الثقافي الدولي بين الولايات المتحدة وأوروبا يجري على أساس مخصص وفي الغالب عبر مبادرة الإطار المفضل ذاته من المنظمات التي تُعنى بالفنون والفنانين.

باء- المصطلحات التعريفية - إن وصف عمل فني بعبارة "فن إسلامي" لأن صاحبه ينتمي إلى بلد مسلم في غالبيته هو وصف تضليلي تماماً كما هو الحال عند وصف عمل فني بعبارة "فن مسيحي" لأن صاحبه ينتمي إلى بلد مسيحي في غالبيته. ففي الماضي، عندما كان معظم العمل الفني ينجز في سياق إشراف البلاط أو التزيين الديني، كانت العلاقة التي تربط المواضيع الروحية بعلم الجماليات علاقة مباشرة. غير أنه يصعب تعريف الفن الإسلامي المعاصر: فهل الفن من إبداع فنانين يرغبون في تأكيد هويتهم الإسلامية/المسلمة أو هل هو مجرد فن معاصر يأتينا من دول إسلامية؟ وعلى غرار فناني الديانات الأخرى -من يهود وبوذيين ومسيحيين- لا يرغب العديد من الفنانين المسلمين أن يُنظر إليهم ضمن إطار ديني، أو على الأقل ليس فقط أو أساساً من هذا المنظار.

وبسبب تعقيد التوزيع الفني في البلدان الإسلامية وقلة المعرفة بالتقاليد الثقافية الإسلامية في الولايات المتحدة وأوروبا، فإن أي محاولة لعرض التنوع الغني للإسلام عبر الفن والثقافة يجب أن تشمل نهجين على الأقل - هما إثراء الفهم الغربي للسياق التاريخي لمختلف التعابير الفنية والاعتراف بالأصوات الفنية المعاصرة والمتنوعة المطلعة على هذا التراث الإسلامي. وقد يرغب تحالف الحضارات في تشجيع التبادلات التي تسعى إلى تحسين العلاقات "الإسلامية-الغربية"، لكن في ظل هذا المناخ المتوتر للغاية اليوم، ينبغي توخي الحيطة البالغة والعناية الفائقة عند اتباع هذين النهجين تفادياً لاستخدام لغة وفئات تثير القوالب النمطية نفسها التي يُسعى إلى التصدي لها.

جيم- الوسطاء - تحافظ غالبية البلدان الأوروبية على ملحقين ثقافيين في سفاراتها المعتمدة لدى البلدان الإسلامية وعكس ذلك. وتشكل هذه المنظمات منفذاً للتبادل الثقافي. والكيانات المشار إليها أعلاه مثل المجلس البريطاني، والتحالف الفرنسي ومعهد غوته وهي كالات نشيطة وقيِّمة لتعزيز الشراكات الثقافية الدولية. غير أن نظراء هؤلاء في العالم الإسلامي نادرون، مما يصعّب على الجماعات الثقافية الأوروبية تحديد شركاء في الميدان للعمل الدولي. وربما كان ذلك أحد الأسباب التي تفسر كون معظم الجهود المبذولة حتى الآن عبارة عن برامج ثنائية، نادرا ما تشمل تبادلات أو فرصاً مستمرة للفنانين أو للمواد الثقافية من أجل السفر إلى ميادين وبلدان متعددة داخل أوروبا أو عكس ذلك في الشرق الأوسط[٦٧].

دال- اللغة والسياسة والمال - حتى عندما يتم التغلب على التحديات اللوجستية الأخرى، تظل اللغة عقبة كبيرة. فتقديم فنانين في سياق ثقافي معين عندما لا يتكلمون أو يفهمون اللغة الأم أمر صعب. والنجاح في شكل العرض وفي تثقيف الجمهور بفعالية أمر مهم، ومكلف أحيانا. ومما يزيد في هذه التكاليف العقبات السياسية التي فرضها بعض بلدان الغرب غداة العمل الإرهابي، وأبرزها الولايات المتحدة عقب سن قانون المواطنة، الذي يحد سفر الفنانين الأجانب إلى البلدان الغربية وفي داخل حدودها. ومن آثار هذه السياسات الجديدة مشاكل دبلوماسية (رفض دخول فنانين)، ومضايقات إدارية (زيادة الإجراءات البيروقراطية)، وزيادة التكاليف (لإصدار التأشيرات وتكاليف أخرى ذات صلة). أما نقص الدعم المالي المشار إليه أعلاه فيعد عائقاً أيضاً.

---

٦٧ تجدر الإشارة إلى أن هناك العديد من الشبكات غير الرسمية لكنها منفصلة للتبادل الثقافي في الولايات المتحدة وأوروبا، يجري العديد منها عبر جماعات المهاجرين وتقدم مواد أولية لبناء هياكل أساسية لدعم التبادل الثقافي الدولي.

هاء- مدة الالتزامات - من أجل تشجيع فهم أعمق للثقافة، لا تكفي التبادلات الثقافية عبر الحدود لمرة واحدة. بل قد تطرح إشكالية إذا كانت (أو اعتُبرت) شكلاً من أشكال الاستعمار الغربي الجديد أو الإمبريالية الثقافية التي تُجلب فيها الثقافات الأجنبية "الغريبة" إلى الولايات المتحدة مثلاً وتُستغل بصفتها مواد جديدة. وقد كانت المؤتمرات منذ مدة الآلية السائدة لعرض الأعمال الدولية وحجزها في الولايات المتحدة، غير أن هذا الشكل قد لا يلائم العديد من الأشكال الثقافية، ولا يقوم نظام الحجز في الولايات المتحدة بالشيء الكثير من أجل تشجيع العلاقات الطويلة الأجل. فالتبادل الثقافي ذو معنى يقتضي اتباع نهج أكثر "شمولية" وإبداعاً إزاء مقاييس التبادل الدولي، ويقتضي البحث، وعمق المعرفة وطول الاستثمار في البيئة الثقافية العالمية[٦٨]. ونظراً لشدة التوترات السائدة في العلاقات بين المجتمعات الإسلامية في غالبيتها والعديد من الأمم في الغرب، تعد هذه المواد ذات التكلفة الإضافية، مثل تقديم برامج تكميلية للتثقيف والاتصال إلى المعارض والتبادلات الفنية، غايةً في الأهمية.

واو- بيئة فنون كارهة للمخاطر - تمارَس ضغوط على المنظمات الفنية غير الربحية في الولايات المتحدة من أجل توسيع نطاقها، ليشمل جماهير أكثر تنوعاً وديمغرافيات متنوعة في جماعاتها. غير أن التكاليف التي يتم تكبدها للقيام بهذا العمل على الصعيد العالمي (من سفر إلى الخارج لاستكشاف الإمكانيات المتاحة، وجلب الفنانين وموادهم من الخارج، وإعداد مواد تسويقية وتفسيرية ملائمة أو محددة لسياق الأعمال، إلخ.) قد تكون مانعة وقد تكون البرامج خطيرة من حيث مدى درها لما يكفي من العائدات لتغطية التكاليف. وكثيراً ما يكون من الصعب على المنظمات الثقافية الدفاع عن هذه البرامج لدى مجالسها ما لم يكن العمل أساسيا لمهمتها. ويعد غياب التدريب والإعداد المناسبين للقيام بمثل هذا العمل عائقين آخرين لأن معظم الفنانين ومديري الشؤون الفنية يتعلمون كيفية التبادل عبر التجربة الأولى. ولتحسين القدرة على القيام بأنشطة التبادل الثقافي الفعال، على الفنانين ومديري الشؤون الفنية التعلم بشأن مختلف الأبعاد اللوجستية للشراكة الفعالة، إضافة إلى القضايا الثقافية والأنثروبولوجية التي من شأنها التأثير في تجربتها.

زاي- التبادلية - من البديهي القول إن مصطلح "التبادل" يعني ضمنياً عملاً تداولياً من جهتين. غير أن المبادرات الممولة من الحكومات نادراً ما تكون تبادلية في روحها حتى وإن كانت كذلك تقنياً. بالإمكان إرسال فنانين إلى بلد لتدريس آخرين، ثم استقبال زوار من ذلك البلد لمواصلة تعليمهم. نادراً ما تكون التبادلات على هذا الشكل، وإنما قد يُنظر إليها كذلك، لا سيما عندما تكون منظمة وممولةً من مكاتب حكومية على صلة وثيقة بمكاتب وزارة الخارجية في حكومات البلدان. ويصدق هذا القول أساساً على جهود الولايات المتحدة حيث يخضع الجانب المموَّل من الحكومة في أنشطة التبادل الثقافي إلى حد كبير إلى إشراف إدارة الشؤون الدبلوماسية العامة في وزارة الخارجية بالولايات المتحدة، وولايتها النهوض بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة في وقت تعد فيه هذه السياسة غير شعبية للغاية في العالم الإسلامي. لذا من المهم في هذه البيئة أن تزيد الجهات الخاصة الداعمة للتبادل الثقافي من التزاماتها بدعم التبادل الثقافي في الاتجاهين وجعل التزامها بالتبادلية أكثر بروزاً للفنانين

٦٨ Yoshitomi, Gerald et. al. International Presenting in the United States: A Field Assessment Report . 1995

والجماعات الثقافية والشركاء المحتملين، بمن فيهم الجمهور المحتمل ومصادر التمويل الخاصة في بلدان أخرى.

رابعاً- استنتاجات وتوصيات

رغم التحديات المتأصلة في التبادل الثقافي والصعوبات التي تواجهها الجهات المهتمة بتعزيز هذا التبادل بين الغرب والعالم الإسلامي، فإن الحاجة إلى زيادة دعم هذا العمل نادراً ما كانت أكبر منها اليوم. ففي مجتمع عالمي تمزقه المصالح الضيقة، يقوم الفن بدور هام في إيصال الصور والمعلومات التي تُنقل عبر الحدود الوطنية والثقافية. ليس الفن دواء عاماً لكل التفاهم في العالم، لكنه وسيلة يُعزَّز بها الحوار والتفاهم بين الأفراد والجماعات والأديان والدول الأمم. فالسفر والتواصل على الصعيد الدولي مع فنانين آخرين وجماهير أخرى يحفّز مخيلة الفنانين ويغني الأفكار والمراجع التي ينهل منها الفنانون. ويربط ذلك أيضاً الفنانين المهاجرين والجماعات الإثنية بتاريخها الثقافي، مما يجعلهم أقل عزلة وتضرراً ويزيد من تدفق الأفكار الجديدة عبر الحدود. ولعل تنوع العمل الفني والتعبير الثقافي في كل من المجتمعات الغربية والإسلامية يفتحان نافذة على ثراء وتنوع كلا العالمين، مما قد يساعد على تبديد القوالب النمطية والتعصب الذي يولّد التطرف.

ألف- الأهداف

إجمالاً، يتضمن التبادل الثقافي الدولي الفعال والمسؤول العناصر التالية، وينبغي للتحالف أن يحرص على أن تدعو أي توصية يقدمها على العمل بهذه النقاط أو الإشارة إليها:

- توسيع اطلاع الفنانين على فن وجماليات البلدان الأخرى وتعميق مداركهم لهما؛
- تشجيع مؤسسات الفنون على أن تعمل في سياق عالمي، وأن تقدم لجمهورها فنانين وأعمالاً فنية تجسد التنوع الثقافي لبلدانهم، لا سيما في البلدان الغربية حيث يزداد التنوع بفعل استمرار توافد المهاجرين واندماجهم؛
- تهذيب فهم الجماهير للفنانين والأعمال الفنية لثقافات أخرى من خلال إشراكها في إبداع مختلف الأعمال وتقديمها وتفسيرها؛
- التصدي للقوالب النمطية القائمة على الدين، والثقافة، والجنس، والعرق، والطبقة الاجتماعية، والجنسية والأصل الإثني، والمفاهيم التبسيطية لثقافات أو حضارات أحادية متنافرة فيما بينها؛
- تشجيع البحث بشأن العمل الفني وتحديد سياقه؛
- عند الاقتضاء، محاولة استكمال المعارض والعروض بأنشطة للاتصال والتثقيف؛
- خفض العقبات التي تعترض التبادل الثقافي الدولي.

باء - الاستراتيجيات

تشمل بعض الاستراتيجيات التي تشجع وتوسع التبادل الثقافي الهادف إقامة الشبكات وتبادل المعلومات، ووسائط الإعلام، والتمويل.

١- الشبكات وتبادل المعلومات

(أ) بناء شبكة عرض دولية

لا سيما في أوقات الضيق المالي، تساعد الشبكات على استدامة العمل وتوسيع نطاقه. فمن شأن شبكة من المنظمات العارضة المخصصة لتعميق وتحسين التبادل الدولي أن تشجع على المجازفة، وعلى قيام الفنانين الأجانب بجولات في مواقع متعددة، وتطوير مهارات العرض لدى الفنانين ومهنيي القطاع الفني. فوضع شبكة من قبيل شبكة العروض الوطنية[٦٩]، لكن تركز بشكل خاص على العمل الدولي وتشمل كلاً من المؤسسات الكبرى والمنظمات المجتمعية، من شأنه أن يوسع نطاق المجتمعات التي يقدم فيها الفنانون الأجانب عروضهم، ويحسّن من تحديد سياق العمل الفني وتفسيره، وأن يقيم شراكات بين الأوساط الثقافية في الغرب ونظرائها في البلدان الإسلامية في غالبيتها. وقد توسع هذه الشبكة أيضا القدرة الميدانية الأكبر على القيام بالعمل دولياً من خلال رعاية دورات تدريبية، وإصدار منشورات وتعزيز الشراكات خارج الشبكة.

(ب) إنشاء مركز لتنسيق المعلومات الإلكترونية

تعد المعلومات المتعلقة بالتبادل الدولي -تقنيات فعالة، جهات فاعلة رئيسية، موارد مالية، وما إلى ذلك- مبعثرة على نطاق واسع ولا تُدرك بالقدر الكافي، مما يزيد في تكلفة دخول هذا الميدان ويضمن انتشار ازدواجية الجهود. لذا فإن إطلاق مبادرة أو مبادرات لسد هذه الفجوة عبر استراتيجيات قائمة على الإنترنت أمر قد يعطي نتائج في الأجل الطويل. ويمكن الاطلاع على عدة نماذج من قواعد البيانات المتعلقة بهذه المعلومات عبر موقع الجماعة الأوروبية "أوروبا" (Europa) والمواقع المتصلة به التي تقدم تبادلات وشبكات فنية داخل أوروبا.

(ج) السعي إلى إقامة شراكات بين القضايا والتبادلات الفنية والثقافية

تضاعفت قيمة المنح الدولية المقدمة ما بين ١٩٩٨ و٢٠٠٢، أما الالتزامات بالعمل الدولي فآخذة في الازدياد فيما بين المؤسسات والشركات الموجودة في الولايات المتحدة وأوروبا. وبينما يستأثر تقديم المنح المركزة على الفنون بنسبة ٦ في المائة فقط من المجموع، تستهلك الاستثمارات في ميادين أخرى نسباً أكبر بكثير من دولارات المنح الدولية. وقد تكون هناك فرص لتوسيع الموارد لفائدة الفنانين والمنظمات الفنية من خلال زيادة الشركات مع الممولين الدوليين المهتمين بقطاع الصحة والبيئة والتعليم والأهداف الإنمائية للألفية على سبيل المثال، مما يمكّن الفنانين والمنظمات الثقافية من إظهار مواهبهم

٦٩ تتيح شبكة العروض الوطنية (NPN) جولات لشركات الراقصين والممثلين المسرحيين في الولايات المتحدة.

وإبداعهم بشأن هذه القضايا. وقد يفتح البنك الدولي بعمله في مجال الثقافة والتنمية المستدامة آفاقاً في هذا الصدد.

(د) تعزيز الشبكات داخل البلدان الإسلامية

ثمة حاجة ماسة إلى تحديد خبراء ثقافيين في العالم الإسلامي وإلى قيام العالم الإسلامي بدور استباقي في الاحتفاء بثقافاته وإيصالها. فغياب دعم الثقافة في العديد من البلدان الإسلامية يجعل من الصعب دعم التبادل الدولي بالطريقة المتوقعة في العادة. وحتى تزول هذه العقبة الأولى، سيظل هناك دائماً شعور بأن التبادلات يديرها النصف الغربي فيها. وقد تتضمن وسائل تعزيز هذه الشبكات والهياكل الأساسية عقد اجتماعات استراتيجية منتظمة لمهنيي القطاع الفني، والمحسنين المسلمين (بمن فيهم المحسنون المسلمون المغتربون الذين يعيشون الآن خارج بلدانهم الأصلية)، والمهتمين من مديري الأعمال التجارية من العالم الإسلامي، من أجل وضع نهج لمسؤولي وزارة الثقافة وغيرها من الهيئات المعنية بهدف خفض العقبات ووضع حوافز أكبر للتنمية الفنية وفرص التبادل الناشئة من العالم الإسلامي؛ ومنح جوائز ومكافآت أخرى للفنانين الشباب والرموز الثقافية؛ والاتصال بأوساط المهاجرين المسلمين الناجحين في الغرب من أجل وضع قنوات التبادل المنتظم، وما إلى ذلك[٧٠].

(هـ) توسيع نطاق "الفن الإسلامي" إلى ما بعد الشرق الأوسط

عند تنظيم العروض الثقافية والفنية في الغرب حول موضوع "فن من العالم الإسلامي" ينبغي بذل كل جهد لإدراج بعض العناصر من ٨٥ في المائة من السكان المسلمين في العالم الذين ليسوا عرباً -أي جنوب آسيا وجنوب شرقها، وأفريقيا، والبلقان، وما إلى ذلك من أجل مواجهة القالب النمطي الذي يعتبر الفن الإسلامي فناً من العالم العربي.

(و) دعم الأحداث والمؤسسات الحالية والمخطط لها والمشاركة فيها

تطوير القنوات المتزايدة للتبادل الفني والثقافي بين البلدان المسلمة في غالبيتها وأوروبا عبر مؤسسة أنا ليند وسنة ٢٠٠٨ الأوروبية للحوار بين الثقافات، ومهرجان وملتقى فاس السنوي للموسيقى العالمية في فاس بالمغرب، وما إلى ذلك. ينبغي للتحالف أن يتصل بمنظمي وزعماء هذه الأحداث والمنظمات من أجل الاستفادة أقصى ما يمكن من التواصل الثقافي الذي قد يرافق جهودها الحالية والمستقبلية في مجال التبادل الثقافي، والزيادة، إن كان ذلك يساعد، في

٧٠ تعمل مؤسسة أغا خان حالياً في بعض هذه المجالات وقد تكون منظمة رئيسية ينبغي الاتصال بها منذ البداية.

إبراز الصورة بل الأثر السياسي لهذه الأحداث في كيفية تصوير المهاجرين المسلمين أو الأقليات في المجتمعات الأوروبية والأمريكية وكيف يُنظر إلى الثقافات الأوروبية والأمريكية في البلدان الإسلامية بغالبيتها.

٢- تمويل البرامج

(أ) إنشاء صندوق للمخاطر

ينفر العديد من العارضين من تقديم عمل ضخم قامت به شركات أجنبية خشية تكبد خسائر في شباك التذاكر. لذلك يُعرض العديد من البرامج الدولية المتميزة في قاعة واحدة في الولايات المتحدة، ثم تنتقل إلى العرض في مدن دولية أخرى. ومن شأن صندوق مخاطر أو صندوق احتياطي قادر على تأمين مقدمي العروض ضد خسائر كبرى أن يحفز جهات فاعلة إضافية على المغامرة في هذا الميدان. ويمكن أن تدير هذا الصندوق منظمة وسيطة، أو مؤسسة ثقافية لها سجل بارز في هذا المضمار. وربما كان هذا الصندوق وسيلة قد تمكن فيلماً هاماً منتجاً في بلد إسلامي من النجاح في البقاء معروضاً على الشاشات الأمريكية لبضع أسابيع أخرى ضرورية لحشد الدعم عبر الإشاعة الشفوية فيصبح الفيلم بذلك مستداماً بل حتى مربحاً.

(ب) إنشاء مجموعة من المانحين لجمع الموارد واقتسام المخاطر

من أجل تبديد تردد بعض المانحين في تمويل التبادلات في عالم ما بعد ١١ أيلول/سبتمبر، قد يدعو التحالف إلى إقامة شبكة من المانحين المهتمين بهذه الجهود من أجل محاولة إنشاء آليات لخفض التكاليف إلى الحد الأدنى واقتسام المخاطر حتى يتم تيسير الأموال لتمويل التبادلات الثقافية والفنية مع العالم الإسلامي.

(ج) الاعتراف بالمؤسسات الرائدة ودعمها

استعمال رعاية التحالف لمكافأة المؤسسات الثقافية والمجتمعية والتعليمية الموجودة في أوروبا وفي بلدان العالم الإسلامي الملتزمة بالتبادل الدولي، وتعزيز صورتها، مما يمكّنها من الاضطلاع بالبرامج وتقاسم أفضل الممارسات مع مؤسسات أخرى.

٣- السياسة العامة

(أ) عقد منتدى منتظم للسياسة العامة

يعد إجراء مناقشات منتظمة وشاملة ومركزة بين المانحين وواضعي السياسات والممارسين في ميادين التبادل الثقافي أمراً ضرورياً في الولايات المتحدة الأمريكية من أجل وضع توصيات أو اتخاذ خطوات إجرائية لتناول القضايا التي تعيق التبادل الثقافي الدولي. وثمة قضايا عديدة في السياسة العامة ينبغي تناولها، لكن من أكثرها إلحاحاً سياسة الهجرة وقوانين التأشيرة، وتعريف الفن والثقافة الذي تستخدمه الهيئات الكبرى للسياسة العامة (من الجهات المانحة

واليونسكو وما إلى ذلك)، والعلاقة بين السياسة الخارجية والدبلوماسية الثقافية في الولايات المتحدة. ويعد هذا الأمر موازياً للتوصية المتعلقة بعقد اجتماعات استراتيجية منتظمة في العالم الإسلامي من أجل فتح المجال أمام التعبير والتبادل الثقافيين.

(ب) تقديم أبحاث لأغراض الدعوة

قلّصت الحكومة الاتحادية دعمها للتبادل الثقافي الدولي، بينما لا تزيد النسبة المئوية للدعم الذي يقدمه القطاع الخاص بما فيه الكفاية مقارنة مع المجموع. لذا من الضروري عرض القضايا بشكل أقوى، استناداً إلى معلومات نوعية وكمية تتعلق بأثر التبادل الثقافي الدولي. ويمكن إشراك الرواد من مقدمي البرامج، ومنظمات الخدمات الفنية، والمراكز الأكاديمية أو غير ذلك في إعداد حجج أقوى للاستثمار في هذا المجال[٧١].

٧١ يمكن أخذ نموذج COLEAD والتحالف الثقافي الذي نشأ في أثناء "الحروب الثقافية" في الثمانينات.